ثانيـاً: جُرشَ أم جَرَش (تقييـم من خـلال الأهميـة، والـدور، والشهرة في المراحل المختلفة. بقلم. أ. منصور بن أحمد العسيري [١]

أولاً: توطئة:

من أهم طباع الانسـان العربي التي عرف بها ووثقتهـا المدونات والنقوش القديمة فيمـا قبل الإسـلام نزوعـه إلى الحرية، لذا ظـل طابع البـداوة غالباً علـى جزء كبير مـن أمة العرب منذ مراحلهم الأولى في جهات شـمال الجزيرة العربية وبوادي الشـام والعراق، إذ لم يلائمهم وضـع الاسـتقرار مع قلة عددهم بين العديد من الدول الكبرى المجاورة لشـمال الجزيرة ما بين النهرين والشـام ومصر كالآشوريين والفرس واليونان والرومـان، وبالتـالي، فقد استعصـى على الدول الكبرى إخضـاعه اخضـاعا تاماً كما يذكر مؤرخو العصـور القديمة[٢] . وعلى الجانب الآخر قد استوطنت جموع من العرب منـذ مراحل مبكرة جهات جنوب الجزيرة العربية بكـثرة، وكونوا عدة مدن، وبدأوا في اسـتغلال مواردها وموانئها والاتصـال مع الجهات الأخرى التي تشاركهم البحر المطل على بلادهم حيث الهند وبلاد الشـرق، ونشـطوا في الإبحـار والتجارة، بينما بقي جزء من العرب مثـل القيداريين والأنباط، واللحيانيين، والثموديـين، والمديَنيين وغيرهم في شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق، حيث كانت هذه القبائل العربية متجاورة في شـمال غربي الجزيرة العربية، وتعمل في التجارة ونقل البضـائع بين شـمال وجنوب

البحث العلمي في كل المجالات والميادين المعرفية. (والله من وراء القصد).

(١) الأسـتاذ منصور العسيري من الباحثين الجادين، له عدد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة، للمزيد عن سـيرته الذاتيـة، انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنـوب، الطبعة الأولى، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)، الجزء السادس عشر، ص٢٠٨. والطبعة الثانية (مطبوعات جامعة الملك خالد، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ص٢٠٩٠

(٢) انظر الصـقلي، ديودور، ديودوروس الصقلي وجزيرة العرب، ص، ٥٤، ٥٦. هيرودوتس والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ص ٧٠

الجزيرة العربية، ولكن معظمها اختفى من تلك المواقع وخاصة القيداريين منذ ما بعد منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد، وظهروا في الجزيرة العربية بشكل رئيسي، وشرقي الدلتا والنيل بمصر[١] وشرقي البحر المتوسط وما بين النهرين.

وقد تحقق للعرب في أنحاء الجزيرة العربية التي اجتمعوا بها وأصبحوا مكونها الرئيسي للاستقرار والنمو السكاني المعقول، في ظل حصانة الجزيرة العربية بذاتها، وحسن استغلالهم لمصادرها وموانئها، ومن ثم تمكنوا من الاستقرار بشكل أكبر وتكوين المدن فيها، مع بقاء جزء منهم على حالته البدوية، فعملوا على إنعاش التجارة الدولية من وإلى عمق الجزيرة العربية، ووصل شرق العالم القديم بغربه وشماله بجنوبه. ورغم ذلك فلم يخل الأمر دائما من محاولات الدول الكبرى فرض إرادتها بالقوة، فقد كان للرومان محاولات لغزو العرب في جزيرتهم[٢]، وكان أشهرها تلك الحملة من قبل إليوس جالوس، التي واجه فيها، إضافة للحروب المتفرقة في طريقه، الظمأ والتعب والتيه في الصحراء، ومني بخسائر بشرية كبيرة، وانتهى بهزيمته على أبواب مأرب[٣].

نشأت خلال هذه المراحل في الجزيرة العربية عدد من الحواضر التي ظل لها طابعها العربي وحققت الكثير من التميز في الزراعة والتجارة والصناعة، وفي فنون العمران والنحت بمختلف أشكالها، وكانت هذه الأمة تنطلق بسرعة في أكثر من اتجاه، وأكثر من موقع. من هذه المدن التي ازدهرت كمدينة تجارية وصناعية على مستوى المنطقة العربية فيما قبل الإسلام مدينة "جُرش"، تلك المدينة التي تطل من فوق جبال السراة في قلب منطقة عسير، وهي مدار بحثنا.

جُرَش هي المدينة التي ارتبط اسمها بالكثير من الأساطير والقصص والأحاجي وغريب الحديث، إنها جرش الأجراش اللذين يكثرون ويقل الناس، تلك التي حضرت في تنبؤات الكاهن سطيح، والتي بها كانت قصة الهروب بالإله يغوث، والنزاع بين القبائل على ربهم المزعوم، ومنها كان يخرج ذلك العنب الاسطوري الذي تنموا حباته منفردة، وقيل أن عذقه يبلغ طوله ذراعا. وهي أيضاً تلك المدينة التي وصفت بأنها بداية السراة، وبأنها بداية نجد، وبأنها بداية الحجاز، وبأنها بداية اليمن. وهي كذلك تلك المدينة التي أمعن المفسرون في ربطها بآيات القرآن التي تتحدث عن جدب مكة وخصبها ورخائها وشدتها وازدهار تجارتها وكسادها.

---

(١) هيرودوتس، هيرودوتس والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ص٤٥-٥٥ ٠ التركي، د. هند بنت محمد، مملكة قيدار، ص٧٨

(٢) الصقلي، ديودور، ديودوروس الصقلي وجزيرة العرب، ص١٣٢- ١٣٥

(٣) سترابون، الجغرافيا في سبعة عشر كتاب، ترجمة د. حسان ميخائيل اسحق، (دار علاء لدين، ودار مؤسسة رسلان) – دمشق، ط١-٢٠١٧م، ج٢/ص٣٤١-٣٤٣ ٠

ونحن في هذا البحث لا نرمي إلى تقديم بحث سردي عن جرش وتاريخها وأحداثها إذ هذا مجال آخر، سيكون له بابه، بل نحن في هذا البحث سنحاول أن نستعرض مدى أهمية جرش في تاريخ الجزيرة العربية وتفاوت أهميتها عبر المراحل المختلفة، ودلائل محورية دورها التجاري والاقتصادي بجزيرة العرب، ومن خلال ذلك سنحاول أن نميِّز ما كانت معنية به، وما لم تكن معنية به من الأخبار، وسيكون لنا في هذا البحث استحضار لجرش أخرى، بل لأكثر من جرش، وكلها مدن عريقة عظيمة القدر.

إن من حق التاريخ علينا ألَّا ندعه مترددا حول الأحداث، دون محاولة الوصول إلى حقيقتها، ومن له الحق في الذكر في كل حدث. فهنالك الكثير من الأحداث في تاريخنا التي لا زالت معلقة بين أكثر من مدينة وأكثر من قبيلة وأكثر من شخص بسبب تشابه الأسماء وتداخل الجغرافيا والمراحل التاريخية. فقراءة النصوص التاريخية وترجمتها أحيانا تكون مضللة، حتى لو لم يكن هنالك تعمّد للتضليل، لأن المتعارف عليه أو المتاح أحيانا يفرض حالة من الاجتهاد الخاطئ بناءً على نقص المعلومة.

وقد وجدنا أن جُرَش- المعنية ببحثنا هذا- قد اختلطت أخبارها بأخبار جَرَش أخرى بسبب تشابه الأسماء، حتى أشكل التمييز بينهما، وهنا فنحن بحاجة إلى الفرز بين الطرفين، كما نلاحظ أن جرش لم تكن ضمن التخمينات التي تدور حول المسميات القريبة منها في دراسات العصر الحديث، لذا نحتمل حدوث الكثير من الترجمات الخاطئة لبعض القراءات اليونانية، أو الآشورية، أو الرومانية، أو الثمودية، أو غيرها في السابق، مما قد يكون أدى إلى استثناء جُرَش السراة من المقاربات حول الأسماء التي ترد في النقوش على شاكلة "جيراثا" أو "جيرا" أو "جيرها"، أو ما شابهها، إذ تراكمت الكثير من الإشارات التي اتجهت لمواقع أخرى لا يتلاءم سياق بعض النصوص التي وردت فيها مع وضعها الجغرافي والتاريخي، مما أدى إلى بروز مفاهيم قد تكون خاطئة حول مسار التاريخ واتجاه طرق التجارة.

إن معالجة هذه الأخطاء المتراكمة خاصة تلك التي تعني بقراءة النصوص القديمة باللغات المنقرضة أو النمط القديم من اللغات المعروفة هو أمر غير يسير، فهو بحاجة للكثير من الجهد، ويستلزم تخصيص مسار بحثي جماعي على مدى سنوات، للتنقيب والبحث عن النصوص في المحيط، ولإعادة فك رموز النقوش والنصوص الأخرى بشكل يستحضر الاحتمالات التي استبعدت في السابق. إلا اننا هنا سنكتفي بمحاولة الإشارة إلى الملامح الرئيسية لأهمية جرش ومحورية دورها التجاري والاقتصادي في الجزيرة العربية، وسنقدم نماذج من الاحتمالات لحدوث الخطأ فيما يخص التاريخ القديم، كما سنحاول أن نعالج موضوع التشابه بين جُرَش السراة وجَرَش الشامية ومدى إمكانية الفصل بينهما في الأخبار التاريخية. ونأمل أن نصل في بحثنا هذا إلى مقاربة معقولة، حول الحقيقة التي نبحث عنها.

ثانياً : صفحات من تاريخ جُرَش السراة :

جرش واحدة من حواضر الجزيرة العربية المشهورة، فقد كانت هذه المدينة مركزا لمساحة جغرافية واسعة من الجزيرة العربية، يمتد نفوذها فيما بين طلحة الملك جنوبا وتبالة شمالاً وما بين شرقي تثليث شرقاً إلى سواحل البحر الأحمر غرباً. وتعدُّ جرشٍ واحدة من أهم المراكز التجارية والصناعية في الجزيرة العربية، فقد لعبت دورا هاما في الرحلات التجارية ما بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها فيما عرف تاريخيا بدرب البخور، وقد تمكن أهالي جرش خلال ترحالهم في الآفاق خلف التجارة من نقل تقنيات جديدة إلى الجزيرة العربية، إذ تميزت على مستوى الجزيرة العربية بأنواع من الصناعات لم تكن معروفة لدى غيرهم من العرب. إلا أنها وحتى هذه اللحظة لم تحظ في الدراسات الحديثة بما تستحقه من اهتمام من قبل الدارسين لحضارة الجزيرة العربية ولمنطقة السراة على وجه العموم.

ويعود تاريخ جُرش إلى حقب قديمة كما تدل آثارها، وقد تمتد إلى ما قبل التاريخ، وهي مرحلة لم تسبر صلة جرش بها إلى الآن، فنحن نجد لدى بطليموس في القرن الثاني للميلاد ذكرا لمدينة "جيراثا" (Giratha/ Goeratha)(١)، وهي من المدن الداخلية لبلاد "العربية السعيدة"(٢)، ومقاربة الاسم ترجح صلته بمدينة "جُرَش" منطقة عسير، كذلك فإن البرديات المصرية تشير إلى "الجرهيين" (أو الجرشيين)(٣)، ولبانهم "الجرهي"(٤)، (أو الجرشي)، ونجد ذكر اللبان "الجرهائي" (أو الجرشي) مثلاً في إحدى برديات زينون التي يعود تاريخها إلى عام (٢٦١ ق.م)(٥). حتى عهد قريب لم يكن الاهتمام يوازي ما لهذه المدينة من أهمية، كمركز تجاري هام على طريق التجارة الدولي القديم، رغم ما قام به الشيخ هاشم من دور في التعريف بجرش وحضارتها من خلال كتبه ومحاضراته، إلى أن قامت إدارة الآثار ببدء التنقيب في جرش التاريخية، وبالتالي بدأت البعثات الأثرية تكشف عن حضارة جيدة، سواء الجدران الحجرية

---

(١) بطليموس، بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، ص١٤٥، ٢٠٧هيرودوتس .

(٢) بطليموس، ص ١١٨ .

(٣) هذه الإضافة من الكاتب هنا لوضع الاحتمال لا أكثر .

(٤) هنالك توافق إلى حد ما في القراءات الحديثة للنص على اعتبار المعني بالإشارة هي مدينة "الجرهاء" الواقعة شرق الجزيرة العربية، وهذا لا يتماشى مع موقع الجرهاء وموقع اللبان الذي تنمو فيه أشجار اللبان وتصدر منه وهو جنوب اليمن، حيث شبوة وتمنع من أشهر مناطقه، إذ أن خط التجارة في هذه الحالة سيمر بزاوية حادة في شرق الجزيرة، فيتجه من اليمن شمالا شرقا ثم يعود للغرب، ولكنه موافق جدا عندما يكون هذا اللبان "جرشيا" من جرش العسيرية وليس "جرهيا"، ولا شك أن الموضوع يحتاج إلى المزيد من الدراسة للفصل، وهو مرام هذه اللفتة .

(٥) بن صراي، منطقة الخليج العربي، ص٧١، حاشية ١، التركي، هند، مملكة قيدار، ص١٠٥ .

القديمـة التي بنيت بصـخور كبيرة منحوتة على شـكل مكعبات مسـتطيلة الشـكل، أو المجـاري المنحوتة في الصـخر، أو الأرحيـة الحجرية المنحوتة بأحجـام كبيرة، والمذبح الذي يدل على حضور ديني قديم، والمنحوتات والزخارف والرسومات والفنون المختلفة. ولا زال العمل جارياً للكشـف عن المزيد، حيث تشير المسوحات المبدئية إلى وجود أجزاء أخرى لا زالت تحت التراب سيتم البدء في التنقيب عنها لكشف ما تحتها من آثار[١].

وننتهي من ذلك إلى أننا أمام آثار مدينة عامرة بالفنون المختلفة والتقدم العمراني الرائع، بما يوازي حقيقة أهميتها كواحدة من الحواضر المحورية في التجارة في الجزيرة العربية في العصـر الجاهلي كما سـيأتي معنا، إلا أننا لا نجد من الذكر لها في النقوش والمصادر الكلاسيكية ما يوازي أهمية هذه المدينة لا من حيث العمارة الموجودة بها، ولا من حيث الأهمية التجارية التي يدل عليها ذلك الحضور المتفرد لها في الذاكرة العربية قبل الاسـلام، سـواء في الشـعر العربي أو حتى في الحديث النبوي، والذي يشي عن أمة منتجة، تزرع وتصنع وتمارس التجارة عبر الآفاق، وتنحت في الصخر، وهو ما يدل على نشـاط كبير لها في تلك الحقب، فقد ورد اسـم جرش في النقوش السبئية، ولكن ذلك لا يكفي، فلا بد أن هنالك المزيد من الذكر لهذه المدينة في أنحاء مختلفة.

١ـ موقع مدينة جُرَش:

تقع مدينة جُرش في قلب منطقة عسـير بالمملكة العربية السـعودية، وسـط مدينة أحـد رفيـدة، حيث عثر على بعض آثارها حتـى الآن في قلب مدينة أحد رفيدة، في أعلى وادي بيشة، الى الجنوب الشرقي من مدينة أبها، وتبعد عن مطار أبها بمسافة (١٨كم) في الاتجاه الجنوبي الشـرقي، وعن خميس مشـيط (١٥كم) جنوباً على الطريق المؤدي مـن أبها إلى نجران مرورا بسـراة عبيدة وظهران الجنـوب. وتمتاز جرش بوجودها في مكان منبسـط وعريض يمتد إلى السهول الشرقية، حيث تفترق الجبال منذ النزول من وادي عبل جنوبا، حيث يمتد من منطقة شعار سهب يطوق جبل تهلل من الشرق ويتصل شـرقا بخميس مشـيط وجنوبا بشـعف أراشـة واحد رفيدة. حيث موقـع جرش. ويمتد اتصـاله بالسهول الشـرقية، ويحده من الغرب جبل تهلل وسفوح تهامة، ويمكن تحديد احداثيـات مركـز هذه الآثـار والتي ربما تمثل قلـب المدينة الأثريـة (18*12‘09.2"N, 42*49’26.5E)، وهي على ارتفاع (٢٠٦٢م) عن سطح البحر[٢].

وقـد حـدد موقعها الجغرافيون العـرب وأسـهبوا في ذلك، فقد أوردها الادريسـي

---

(١) قمـت بزيـارة لمدينة جرش التاريخية، والتقيت بالمشـرف على الموقع، ورافقني أحد المرشـدين في الادارة، والتقطت العديد من الصور.

(٢) تم القياس عن طريق خرائط قوقل.

في الجـزء الثاني مـن الإقليم السـادس مع مجموعة مـن المدن بقولـه: "إن هذا الجزء السـادس من الإقليم الثاني تحصـل فيه من البلاد المعمورة والكور المشـهورة ما نذكره الآن مجملا ثم نفسـره بعد ذلك باستقصـاء من القول،.... ففي هذا الجزء من قواعد البلاد المعلومة جرش، وبيشـة، وتبالة، وعكاظ، ونجران، وعلو يحصب، وظفار، ومأرب، والشحر، وسفل يحصب، وشبام، وحضرموت، وصور، وقلهات، ومسقط، وصحار، والعفر، وسعال، ومنح، وسر عمان، وبثرون، وحجر، وخضرمة، والقريتين، ووجرة، ورامة، ومعدن النقرة، وسلمية، وبرقة، واضح، وهجر، وبيرمان، والجيل، وجلفار"[١]. ونقل القلقشندي تحديدهـا بقوله: "(جرش). قال في "تقويم البلدان": بضـم الجيـم وفتح الراء المهملة وشـين معجمة في الآخر. وهي بلدة باليمن، موقعها في الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة. قال في (الأطوال): حيث الطول سبع وستون درجة وخمسون دقيقة، والعرض سبع عشرة درجـة"[٢]. وقد حـدد موقعها ياقوت بقوله: "جُرَش: بالضـم ثم الفتح، وشـين معجمة: مـن مخاليف اليمـن من جهة مكة، وهـي في الإقليم الأول، طولها خمس وسـتون درجة، وعرضها سبع عشرة درجة"[٣]. وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب: "جرش هي كورة نجد العليا وهي من ديار عنز"[٤]، وقال أيضاً: "فجرش رأس وادي بيشة"[٥].

أمـا ابـن عبدالمنعم الحمـيري فيقول: "السـراة :أعظم جبال العـرب، وهو ما بين جرشـ والطائف"[٦]، وقـد حدد البكري جرش من أرض طـود[٧]، ويوافق ذلك ما أورد الهمـداني في سـرده لأحـواز جرش، عندمـا قال: "وتسـمى هذه أرض طـود"[٨]. وقال الخليل بن أحمد: "جرش موضـع باليمن"[٩]، وحددها الإسـكندري بقوله" بلد بين مكة واليمـن"[١٠]، وعد ابن خرداذبة جرش من مخاليف مكة النجدية، حين قال: "مخاليف

---

(١) الادريسي، أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودي الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة، مج١/ ص١٥٠.

(٢) القلقشـندي، أبو العباس أحمد بن علي القلقشـندي (ت٨٢١هـ)، صـبح الأعشـى في صـناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، ج٥/ص٤١-٤٢.

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢/ص١٢٦.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٩.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٣٠.

(٦) ابـن عبد المنعم الحميرى، أبو عبد الله محمـد بن عبد الله (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ط٢ ـ ١٩٨٠ م، ص٣١١

(٧) البكري، ص٣٧٦.

(٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٩ ـ ٢٣١.

(٩) الفراهيدي، كتاب العين، ج٦/ص٣٥.

(١٠) الإسـكندري، أبو الفتح نصـر بن عبدالرحمـن (ت٥٦١هـ)، الأمكنة والمياه والجبـال والآثار ونحوها الواردة المذكورة في الأخبار والأشعار، أعده للنشر حمد الجاسر، ج١/ ص٢٨٣.

مكة بنجد الطائـف، ونجران،.... وقرن المنازل،....والفتق، وعـكاظ، والزيمة، وتربة، وبيشة، وتبالة، والهجيرة، وثجة، وجرش، والسراة"[(١)]، أما البكري فقال: "جرش بضم أولـه، وفتح ثانيه، وبالشـين المعجمة: موضـع معروف باليمن"[(٢)]٠وفي موضـع آخر قال البكري: "وأما نجد، فما بين جرش إلى سـواد الكوفة"[(٣)]، كما أوردها ضـمن مخاليف مكـة حين نقل عن ابن سـهل الأحـول قوله: "تربة: من مخاليـف النجدية وهي الطائف وقرن المنازل ونجران وعكاظ وتربة وتبالة والهجيرة وكتنة وجرش والشراء"[(٤)]، أما ابن خلدون فقد اعتبرها وتبالة في الجزء السادس في قوله: "وفي الجزء السادس من غربيه بـلاد نجد أعلاها في الجنوب جرش وتبالة إلى عكاظ من الشـمال"[(٥)]٠وقد اعتبرها الهمداني ضـمنيا كأول حاضرة مركزية شمال صعدة، في قوله: "من جرش إلى صعدة: تخرج من جرش قصـد صـعدة على بلـد جنب..."[(٦)] ما ذكرهـا البغدادي على طريق الحاج شـمال صـعدة في قوله: " غرفة: بضم أوله، وسـكون ثانيه، والفاء، وهى العالية: اسم قصر باليمن بين جرش وصعدة في طريق الحاج[(٧)] ٠

كمـا اهتـم الجغرافيـون بربـط جرش بالمـدن المجـاورة، وتحديـد المسـافة بينها ومجاوريهـا، فحدد الادريسـي موقـع جرش على بعد ثمانيـة أميال من سـروم راح[(٨)]. ويسـتمر، إلى أن يقول: "وبـين جرشـ وخيـوان أربـع مراحل وبين خيوان ونجران سـت مراحـل وكذلك مـن جرش إلى نجران مثل ذلـك"[(٩)]، ويعود مرة أخـرى ليقول: "ومن تبالة الى بيشة خمسون ميلا وكذلك من بيشة إلى جرش أربع مراحل ومن تبالة إلى سوق عكاظ ثلاث مراحل"[(١٠)]، وحدد ابن خرداذبة موقع جرش على بعد أربعة عشر ميلا من

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٣ ٠

(٢) البكـري، أبـو عبيد عبد الله بـن عبد العزيز بن محمـد البكري الأندلسـي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣هـ، ج٢/ ص٣٧٦ ٠

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ص١٣ ٠

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٨، ٣٠٩

(٥) عبدالرحمـن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق المسـترق الفرنسـي، أ.م. كاترمير، مكتبة لبنان، عن طبعة باريس سـنة (١٨٥٨م)، طبع عام (١٩٩٢م)، المجلد الأول/ ص١٠٣، انظر تاريخ ابن خلدون، الجزء الأول/ ص٧٤ ٠

(٦) الهمداني، الحسـن بن أحمد بن يعقوب، صـفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، مكتبة الارشـاد ـ صنعاء، ط٢ ـ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٢٣٥ ٠

(٧) القطيعـي البغدادي، صـفيّ الدين عبـد المؤمن بن عبد الحق ابن شـمائل الحنبلي (ت ٧٣٩هـ)، مراصـد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل ـ بيروت، ط١ ـ ١٤١٢هـ، ج٢/ص٩٨٩

(٨) المصدر السابق، ص١٤٦ ٠

(٩) الادريسي، ص١٥١ ٠

(١٠) نفس المصدر، ص١٥٢

يبمبم[١]، وعلى بعد ثمانية أميال من سروم راح[٢]،وهي بلدة تأتي بعدها طلحة الملك التي وضعها النبي حدا بين الحجاز واليمن[٣]، وسروم لا زالت معروفة ولكن المسافة قد تفوق ما قاله البكري وابن خرداذبة بكثير. ونقل البكري عن الهمداني قوله: "تثليث: واد بنجد، وهو على يومين من جرش، في شرقيها إلى الجنوب"[٤]، ويقول قدامة بن جعفر: "ومن بنات حرم الى سميص، منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل وحوله أعراب من خثعم. وبينها وبين جرش نحو أربعة عشر ميلا، ومنه الى كثبة قرية عظيمة، ومنازل وقصور، وآبار في صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال"[٥].

وقد حددت جرش بجوار تيمن، قال البكري: "تيمن: أرض قبل جرش، في شق اليمن؛ وثم كراء[٦]". وقال ياقوت: "تيمن: بالفتح وآخره نون. موضع بين تبالة وجرش،...، وقيل: تيمن أرض بين بلاد بني تميم ونجران والقولان واحد لأن نجرانٍ قرب جرش"[٧]، وقال الهمداني: "وكتنة أول حد الحجاز وعرضها سبعة عشر جزءا وسدس ونصف عشر، وعرضها وعرض جرش واحد لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم"[٨].وذكر الهمداني أن "جرش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها"[٩].

مما تقدم يتضح أن جرش تقع بجهة الجنوب (اليمن)[١٠]، وهي بين مكة واليمن، وهي أكبر الحواضر المشهورة شمال صعدة وجنوب الطائف، والطول سبع وستون درجة وخمسون دقيقة، والعرض سبع عشرة درجة، وهي في الجزء الثاني من الإقليم السادس والذي يمتد ـ حسب تحديد الجغرافيين للبلاد الواقعة ضمنه ـ على الهضبة التي تبدأ غرباً من السفوح الشرقية للقمم المطلة على تهامة، وتنحدر شرقا إلى بلاد

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك .

(٢) سروم راح: وتعرف حاليا باسم سروم الفيض لا زال معروفا باسم سروم وهو مجاور للفيض وراحة سنحان ولعل الاسم القديم كان يحيل سروم إلى راحة سنحان في قوله سروم راح، وسروم تقع على بعد (١١) كيلومترا شرقي الحرجة، ولكن المسافة بينها وبين جرش كبيرة وقد تصل بخط مستقيم إلى أكثر من (١٠٠كم) .

(٣) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٥ .

(٤) البكري، مرجع سابق، ج١/ ص٣٠٥ .

(٥) أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، (ت ٣٣٧هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر ـ بغداد، ط١ ـ ١٩٨١م، ج١/ص٨٢ .

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص ٣٣١ .

(٧) الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٦٨ .

(٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص١٨٦ .

(٩) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٣٠ .

(١٠) يقصد باليمن هنا جهة الجنوب وهو يطلق على كل ما كان جنوب مكة .

هجـر وما اليها، كمـا أن جرش عُدَّت بداية هضـبة نجد امتدادا إلى سـواد الكوفة[١]، عند الجغرافيين والبلدانيين العرب، وعُدَّت أيضـا بداية السراة جنوبا والتي تمتد منها شمالا إلى الطائف[٢]، وهي إحدى المخاليف التي كانت تتبع ولاية مكة المكرمة، كما عدت ضـمنياً في بعض الأسـاطير العربية نهاية اليمن من جهة الشـمال[٣]، وهذا كله صحيح حسـب الاصطلاح، فهذه المناطق بعضـها أسـماء تمثل جغرافيا متداخلة وبعضها دالة على جهات.

ومما تقدم أيضـا، فإن جرش تقع بالقرب من عدد من البلدان مثل بيشـة، وتيمن، وسـروم راح، وكتنة، ويبنبم، وتثليث، وسـميص، وبنات حـرب، ونجران، وكلها تقع إلى شرقها، ممتدة من الشمال للجنوب، حيث كانت قوافل الحج تمر بهذه البلدات، وهو ما يتفق مع موقع آثارها التي وجدت في أحد رفيدة، ومع تحديد الهمداني لها في أعلى وادي بيشـة، متوسـطة بلاد عنز وجنب وخثعـم والحجر. ومن ثم يمكـن التأكيد بناء على ما أورده الجغرافيـون على أن مركز مدينـة جرش التاريخية المعروفة والتي عنيت بها كتب البلدان هي تلك الواقعة في أحد رفيدة. وجرش، وإن يكن اسم مدينة، إلا أنه اسم امتد مدلوله ليشـمل أجزاء كثيرة في جنوبي بلاد السـراة وتهامة والعالية، امتدادا من تبالة شـمالاً إلى طلحة الملك جنوبا، ومن البحرِ الأحمر غرباً إلى تثليث شـرقاً، فهذه المناطق من الواضح أنها ارتبطت بجرش تاريخياً، في المراحل الأولى من تاريخها.

وقد حدد الهمداني أحواز جرش فأورد تلك التي تقع في بلاد عنز بن وائل والعواسج وبعض بلاد بني بشـر، ثم استرسـل، فأورد بلاد جنب وخثعم ونهد والحجر والسـراة. ولاشـك أن اهتمـام الجغرافيين بجرشـ، وربط الكثير من المواقع المجـاورة لجرش بها لـه دلالته، فحرص الجغرافيين عند ذكرهم لطرق الحج، على الاسـتطراد إلى تحديد موقع كل بلدة من البلدان الواقعة على طريق الحج - ما بين تبالة وسـروم راح - بالنسـبة

---

(١) انظـر : البكـري، معجم ما اسـتعجم، ص ١٣٠ البعلي، أبو عبد الله شـمس الدين محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضـل (ت ٧٠٩هـ)، المطلع على ألفاظ المقنـع، تحقيق محمود الأرناؤوط وياسـين محمود الخطيب، مكتبة السـوادي للتوزيع، ط١ - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٢٠٢ ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشـافعي المصـري (ت ٨٠٤هـ)، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، تحقيق عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشـيقح، دار العاصـمة للنشـر والتوزيع - الرياض، ط١ - ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١٠/ص٣٢٥ شـمس الديـن، أبـو العون محمد بن أحمد بن سـالم السـفاريني الحنبلـي (ت ١١٨٨هـ)، غذاء الألباب في شـرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة - مصر، ط٢ -١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج٢/ص٤٤٥ الاثيوبي الولّوي، محمد بن علي بن آدم بن موسـى، شـرح سنن النسائي المسمى "ذخيرة العقبى في شرح المجتبى"، دار المعراج الدولية للنشر، ودار آل بروم للنشر والتوزيع، ط١ - ١٤١٦-١٤٢٤هـ/١٩٩٦-٢٠٠٣م، ج٢٣/ص٣٧٠

(٢) ابـن عبد المنعم الحميرى، أبو عبد الله محمـد بن عبد الله (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ط٢ - ١٩٨٠ م، ص٣١١٠

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/ص١٤٠

لجرش يدل على مركزيتها بالنسبة لهذه البلدات، خاصةً وأن جرش لم تكن من محطات الطريق، بل أحياناً نجد الجغرافيين يتجهون للتعريف بالمدن الواقعة في حدود المنطقة بتحديد موقعها بالنسبة لجرش، ابتداء من تثليث في الشرق، الى كتنة، إلى يبنبم، إلى سميص، وبنات حرب، وسروم راح، وتيمن، وبيشة، بينما في الغرب نجد أن ولاية جرش تمتد إلى البحر، إذ عند دخول الإسلام كان نفوذ حكامها يمتد إلى البحر الأحمر، وقد جاء أن الرسول ﷺ عندما ولى عليها واليا من قبله: ولاه على جرش وبحرها[1] ،مما يدل على وصول نفوذها لساحل البحر الأحمر، وعلى امتداده بالتالي على مساحة كبيرة، كما حدد النبي ﷺ حدودها الجنوبية ـ والتي هي حدود ولاية مكة المكرمة، ونطاق أعمال جرش ـ بطلحة الملك[2] ، بينما امتدت أحوازها شمالاً على مناطق كثيرة من السراة والعالية ووصلت إلى تبالة، فكانت تذكر مرتبطة بجرش، فيقال "تبالة جرش"[3] ، وعند بداية الإسلام حضر وفد تبالة إلى النبي مع وفد جرش، فولى النبي (ﷺ) على جرش، ولم يرد أنه ولى على تبالة في الحديث، ما يشير إلى أن ولايتهما واحدة، وهي في جرش[4] . وهذه كانت حال الكثير من المناطق في الجزيرة العربية، حيث كان يمتد نفوذ بعض المدن على مناطق واسعة خلال مرحلة من التاريخ حتى ترتبط بها تاريخيا وتصبح جزءاً من نفوذها الطبيعي، وتحمل المسمى.

٢- جُرَش في كتب البلدانيين والمعاجم :

ورد التعريف بجرش تقريباً في جميع كتب البلدانيات والمعاجم، رغم أنها كانت منزوية في العمق، وغير حاضرة بالقرب في مرحلة التدوين، وهذا يدل على أن ذكرها كان حاضرا حتى وهي بذاتها غائبة، ولعل هذا راجع إلى تاريخها القديم ودورها في عصور ما قبل الإسلام وبداية البعثة الإسلامية كما سيأتي معنا. يقول ياقوت: " جُرَشُ: بالضم ثم الفتح، وشين معجمة: من مخاليف اليمن من جهة مكة، وهي في الإقليم الأول، طولها خمس وستون درجة، وعرضها سبع عشرة درجة، وقيل: إن جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة، وذكر بعض أهل السير أن تبّعا أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازيا حتى إذا كان بجرش، وهي إذ ذاك خربة ومعدّ حالة حواليها، فخلّف بها جمعا ممن كان

---

(١) العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٧ .

(٢) البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر – الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص٨٢ .

(٣) ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب،، ج٢/ص٣١٧ .

(٤) انظر: البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله وعمر ابني أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٧٩ . البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر – الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص٢٦٩ .

صــحبه رأى فيهم ضعفا، وقال: اجرشــوا ههنا أي البثوا، فسميت جرش بذلك...." [١].

وقــال ابن منظور الافريقي: " وجرش: موضــع باليمن، ومنه أديم جرشــي. وفي الحديث ذكــر جرش، بضــم الجيم وفتح الراء، مخــلاف من مخاليف اليمن، وهــو بفتحهما بلد بالشأم، ولهما ذكر في الحديث. وجرشيّة: بئر معروفة، قال بشر بن أبي خازم:

تحــدر مـــاء الـبـئــر عــن جـرشـيــة على جـربـة تـعـلـو الـدبـار غـروبـهـا

وقيل: هي هنا دلو منســوبة إلى جرش. الجوهري: يقــول دموعي تحدر كتحدّر ماء البئــر عــن دلو تســتقي بها ناقة جَرشــية لأن أهل جرش يســتقون على الإبل. وجرشــت الشــيء إذا لم تنعّم دقّه، فهو جريش. وملح جريش: لم يتطيّب. وناقة جرشَــيّة: حمراء. والجرشَــيّ: ضــرب من العنب أبيض إلى الخضرة رقيق صــغير الحبّة وهو أسرع العنب إدراكا، وزعــم أبــو حنيفة أن عناقيده َطوال وحبّه متفرق، قــال: وزعموا أن العنقود منه يكون ذراعا، وفي العِنِوق حمراء جرشية، ومن الأعناب عنب جرشي بالغ جيّد ينسب إلى جِرش. والجرش: الأكل. قال الأزهري: الصَّواب بالسين. والجرشيّة: ضرب من الشّعِير أو الــبرّ،...، وقولِ لبيد: بكرت به جرشــيَّة مقطورة قــال ابْن بري في ترجمة حجر : أراد بقَوله جرشيَّة ناقة منسوبة إِلى جرش." [٢].

وقال البكري: " جرش: بضــم أوله، وفتح ثانيه، وبالشــين المعجمة: موضــع معروف باليمن.والعــرب تقول: ناقة جرشــيّة، أي حمراء جيدة؛ وعنب جرشــيّ: جيد بالغ. قال الهمدانــيّ: " مــرّ تبّع أســعد أبو كــرب في غزوتــه الأولى بجرش، من أرضــ طود، فرأى موضــعا كثــير الخير، قليل الأهل، فخلّف فيــه نفرا من قومه، فقالــوا: بم نعيش؟ فقال: اجترشوا من هذه الأرض، وأثيروها واعمروها؛ فسمّيت جرش. وقيل سميت بجرش بن أســلم، وهو أول من ســكنها" [٣]. وقال القلقشندي: "(جرش). قال في "تقويم البلدان" : بضــم الجيم وفتح الراء المهملة وشــين معجمة في الآخر. وهي بلدة باليمن، موقعها في الإقليم الأوّل من الأقاليم الســبعة. قال في (الأطوال) : حيث الطول ســبع وستون درجة وخمســون دقيقة، والعرض سبع عشــرة درجة. وهي بلدة بها نخيل، مشتملة على أحياء من اليمن، ويتّخذ بها الأدم الكثير. قال في "العزيزي" : وهي بلدة صالحة، وحولها من شــجر القرظ ما لا يحصــى، وبها مدابغ كثيرة. قال الإدريســيّ: "وهــي ومدينة نجران

---

(١) الحموي، شــهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صــادر. بيروت ط٢. ١٩٩٥م، ج٢/ص١٢٦

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر. بيروت، ط٤ - (١٤١٤هـ) ج٦/ص٢٧٢_٢٧٣ ٠

(٣) البكري، ص٣٧٦ ٠

متقاربتان في المقدار والعمارة، ولهما مزارع وضياع وبينهما ستّ مراحل"[١].

وقال الجوهري: "جرش: موضع باليمن. ومنه أديم جرشي، وناقة جرشية. قال بشر:

تحدر ماء البئر عن جرشية　　على جربة تعلو الدبار غروبها

يقول: دموعي تحدر كتحدر ماء البئر عن دلو تستقى بها ناقة جرشية ؛ لان أهل جرش يستقون على الابل"[٢]. وقال الإسكندري في باب جرش: "أما بضم الجيم وفتح الراء وشين معجمة: بلد بين مكة واليمن[٣]. وجاء في القاموس المحيط في لفظ جرش قوله: "بالفتح (ع) وبالتحريك (د) بالأردن، وكَزُفَرَ مخلاف باليمن منه الأديم والإبل وجماعة محدثون"[٤]. وقال السبكي: "و (الجرشي) نسبة إلى جرش بضم الجيم وفتح الراء من مخاليف اليمن من جهة مكة. وقيل مدينة عظيمة وولاية واسعة باليمن"[٥].

ونكتفي بإيراد هذه العينات من كتب البلدان والمعاجم الرئيسية. إذ أن جرش على وجه العموم وردت فيها جميعا، وهو ما لا يتسع المكان هنا لسرده كاملا، ونكتفي بالعينة المقدمة لتعطي الصورة. ولا شك أن اهتمام الجغرافيين بجرش وحرصهم جميعا على إيرادها في معاجمهم، وإسهاب العديد منهم في وصفها يدل على أهميتها، وشهرتها، وللحديث بقية.

٣ـ أهمية جرش :

إن أدراك الأهمية التاريخية لأي مدينة ـ عندما لا يكون لها حاضر أو حضور مشاهد وملموس ـ يكمن في حجم الذكر المدون لهذه المدينة، واستكناه ما خلف الإشارات لها من دلالات، فيسوق استقراؤنا لها إلى معرفة درجة أهمية هذه البلدة، وما تقوم به من دور. فقد ظلت مدينة جرش مطمورة تحت التراب لقرون عديدة، فلم نر من شواهد عمارتها وفنونها شيئاً إلا بعد التنقيب عن هذه الآثار في فترة قريبة، مع أن معالم بسيطة ظاهرة من هذه الآثار كانت تشير إلى وجود شيء ما في الأعماق، بالإضافة إلى أن جرش لم يكن

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٥/٤١ -٤٢ .

(٢) الجوهري الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٤٠٠هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤ ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٣/ص٩٩٧ .

(٣) الإسكندري، أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن (ت٥٦١هـ)، الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها الواردة المذكورة في الأخبار والأشعار، أعده للنشر حمد الجاسر، ج١/ ص٢٨٣ .

(٤) الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي، القاموس المحيط، دار الفكر ـ بيروت، ج٢/ص٢٦٥ .

(٥) السبكي، محمود محمد خطاب، المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داوود، قام على تحقيقه وتصحيحه أمين محمود محمد خطاب، مطبعة الاستقامة ـ القاهرة، ط١ ـ ١٣٥١-١٣٥٣هـ، ج٥/ص١٧٧ .

لها في القرون الإســلامية ما بعد القرن الثاني حضــور واضح المعالم في التاريخ العربي، فذكر أحداثها كان محدودا في المصادر العربية، فيما عدا ما أورده الهمداني من أخبار الحروب بين القبائل المحلية، أو بعض نتف من أخبار قد يجود بها المارون بهذه الديار أو الراحلون منها إلى سواها.

لكنها لم تكن كذلك فيما قبل الإســلام، وفي القرنين الأولين من التاريخ الإسلامي، إذ كان لها دور هام في التجارة والزراعة والإنتاج، وكان لها حضــور في الذاكرة العربية نراها حاضــرة في الشــعر العربي وفي الأســاطير التي تدور حولها منذ مــا قبل وما بعد البعثة النبوية، لدرجة وجدنا لها تميزاً في شــتى أنواع الإنتاج بما لم نجده لســواها. فقد عرفت جرش فيما قبل الاســلام كواحدة من أهم المراكز التجارية الرئيســية في طريق التجارة الحضاري الواصل من جنوب الجزيرة العربية وسواحل بحر العرب إلى سواحل البحر الأبيض المتوســط، وهو الدرب الواصل بين قارة آسيا وأوروبا، فكانت جرش أكثر مــن مجرد محطة على درب البخور، بل كانت مقصــدا بذاتها، ينتهــي إليها جزء كبير مــن رحــلات درب البخور، حيث يــرد إليها التجار من كل مكان ليمــورون من منتجاتها الزراعيــة، والصــناعية، ومما جلبه تجارها مــن الآفاق، من البخــور واللبان والرقيق، ويبيعــون مــا جلبوه من تجارتهــم في المناطق الأخــرى، بل كان أهل جرشــ بذاتهم أهل تجارة ورحلة في طلبها، كما سيأتي معنا.

(*) وفي تكــرار ذكــر جرشــ في تفســير بعضــ آيــات القــرآن، ونوعيــة هذا التكرار، ما يدل على ذلك، ومما ورد حول ذلك:

١- ذكر أبو حفص النعماني تحت "فصــل في مكانة قريش" في تفســير قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (البقــرة: ١٢٦). قال: "قيل: إن قريشــاً لما كذبوا النبي(ﷺ) دعا عليهم، فقال: "اللَّهم اجعلها عليهم ســنين كســني يوســف" فاشــتد القحــط، فقالــوا: يا محمــد، ادعُ الله لنا فإنــا مؤمنون، فدعا لهم رســول الله (ﷺ) فأخصبت تبالة، و جُرش من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، وأخصب أهلها"[١].

٢- في حديــث الرحلتــين نقــل ابن حبيب عــن الكلبي قولــه: "كانت قريش تعــودت رحلتين إحداهما في الشتاء إلى اليمن والأخرى في الصيف إلى الشام، فمكثوا بذلك حتى اشتد عليهم الجهد وأخصب تبالة وجُرش وأهل ساحل البحر من اليمن، فحمل أهل الساحل في البحــر وحمــل أهل البر علــى الإبل فأرفأ أهل الســاحل بجدة وأهل البر بالمحصــب

(١) الدمشــقي النعماني، أبو حفص ســراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشــيخ عادل أحمد عبد الموجود والشــيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م،ج٢٠/ص٥١٠ .

فامتار أهل مكة ما شاءوا وكفاهم الله الرحلتين اللتين كانوا يرحلون إلى اليمن والشام، فأنزل الله عز وجل ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾[(١)].

٣- جاء عند السمعاني في تفسير ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ قوله: "وخافوا الفقر وضيق العيش، فقال الله تعالى لهم: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ فروي أنه أسلم أهل جُرش - بالجيم معجمة - وصنعاء، وسائر نواحي اليمن، وجلبوا الميرة الكثيرة إلى أهل مكة، ووسع الله عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾"[(٢)].

٤- وفي تفسير مقاتل قال: " ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾، وذلك أن الله- عز وجل- أنزل بعد غزاة تبوك: "فاقتلوا المشركين..." إلى قوله: "... كل مرصد" فوسوس الشيطان إلى أهل مكة فقال: من أين تجدون ما تأكلون، وقد أمر أنه من لم يكن مسلماً أن يقتل ويؤخذ الغنم ويقتل من فيها، فقال الله تعالى، أمضوا لأمري وأمر رسولي فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء، ففرحوا بذلك، فكفاهم الله ما كانوا يتخوفون فأسلم أهل نجد، وجرش، وأهل صنعاء، فحملوا الطعام إلى مكة على الظهر"[(٣)].

٥- وفي تفسير البغوي لسورة الإيلاف قال: "وقال آخرون: كانت لهم (يقصد قريش) رحلتان في كل عام للتجارة، إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام. وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته، فلولا الرحلتان لم يكن لهم بمكة مقام، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، وشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبت تبالة وجُرش من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، أهل الساحل من البحر على السفن، وأهل البر على الإبل والحمير، فألقى أهل الساحل بجدة، وأهل البر بالمحصب، وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة فألقوا بالأبطح، فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين، وأمرهم بعبادة رب البيت فقال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ أي الكعبة ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ أي من بعد

---

(١) أبو جعفر البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء،، المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص٢١٩ .

(٢) أبو المظفر السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩)، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م،ج٢/ص٣٠١ .

(٣) مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ، ج٢/ص١٦٦ .

جوع بحمل الميرة إلى مكة"[١].

٦- وفي "معاني القرآن" قال الفراء: "وقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ يعني فقراً. وذلك لما نزلت: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ خاف أهل مكة أن تنقطع عنهم الميرة والتجارة. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾. فذكروا أن تبالة وجُرش أخصبتا، فأغناهم الله بهما وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف." [٢].

٧- قال الثعلبي في تفسير آية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: "قال عكرمة: فأغناهم الله من فضله، وذلك أنه أنزل عليهم المطر مدْرارًا، فكثر خيرُهم حين ذهب المشركون. قال مقاتل: "أسلم أهل جُدة وصنعاءَ وجُرَش من أهل اليمن، وحملوا الطعام إلى مكة على ظهور الإبل والدواب، وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون"[٣].

٨- نصت كتب الأخبار بالفعل على أن جرش كانت إحدى المحطات الرئيسية لرحلة الشتاء والصيف إذ أورد النيسابوري في قوله: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قال الليث: الرحلة: اسم الارتحال من القوم للمسير. قال المفسرون[٤] : كانت لقريش رحلتان: رحلة بالشتاء إلى اليمن وبلادها من جند وجرش وما يليهما، وكان اليمن أدفأ من الشام؛ فلذلك ارتحلوا إليها بالشتاء، ورحلة بالصيف إلى الشام[٥].

---

(١) البغوي، الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي- معالم التنزيل، تحقيق كل من: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، ب د ن، ١٤١٢هـ، مج٨/ص٥٤٧.

(٢) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي / محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١، ص٤٣١.

(٣) الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، ط١- ١٤٣٦هـ /٢٠١٥م، ج١٣/ص٢٧٢.

(٤) ممن قال بذلك: (١) ابن زيد، سفيان، والكلبي، و"جامع البيان" ٣٠/ ٣٠٨. (٢) وحكاه عن المفسرين: ابن الجوزي في: "زاد المسير" ٨/ ٣١٥، والفخر في "التفسير الكبير" ٣٢/ ١٠٦، والخازن في "لباب التأويل" ٤/ ٤١١، ورجحه الشوكاني في "فتح القدير" ٥/ ٤٩٨.(٣) قال به أيضًا: الفراء في "معاني القرآن" ٣/ ٢٩٤، والزجاج في "معاني القرآن وإعرابه" ٥/٣٦٥ - ٣٦٦. (٤) أبو المظفر السمعاني في: "تفسير القرآن"، ٢/٣٠١

(٥) النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، التفسير البسيط، تحقيق لجنة علمية بجامعة الإمام محمد ابن سعود، من منشورات عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط- ١٤٣٠ هـ، ج٢٤/ص٣٤٦.

نلاحظ هنا أن هذه الروايات المختلفة جعلت من جرش قاسما مشتركا لمصادر الميرة ومصادر الطعام بالنسبة لأهل مكة، فقد وردت مرة مع تبالة، ومرة مع الجند، وأخرى مع صنعاء، وأخرى مع نجد وصنعاء، وفي روايات مع تبالة وصنعاء، كما أنها جاءت مرة في تفسير سورة الإيلاف، وأخرى في تفسير آية ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾، ومرة في تفسير ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾، وفيها كلها وردت كمصدر تموين بالمؤن والسلع التجارية وبالطعام، لدرجة أن إسلامهم أنقذ أهل مكة من الكساد والفقر، وأمطارهم أنقذتهم من القحط والجوع. لا شك أن هذه الروايات تعد شاهداً على ما لجُرش من مكانة اقتصادية وتجارية قبل الإسلام، إذ أنّ مجرد تداولها بين الرواة، دالٌّ على تواتر أهميتها التاريخية في هذا المضمار، وعلى مركزيتها التجارية، ومحوريتها كهدف للتجار، وكمصدر للسلع إلى المناطق الأخرى، ودالة على اشتهار ذلك، إذ أن بين مكة وجرش مسافات كبيرة ومدن كثيرة، وحول جرش مدن أخرى كثيرة، وتكرار استحضار جرش بالذات في الروايات يدل على شهرتها التي كانت تضرب الآفاق في التجارة والمنتجات الزراعية، وأنها كانت محطة رئيسية في طرق التجارة، يقصدها الناس بذاتها من الشام واليمن ليمتارون من سلعها، ويعودون لبلدانهم، ويعبر تجارها البلاد للسعي خلف تجارتهم، فيصلون بميرتهم إلى مكة ويثرب وسواها من البلاد، ودال أيضاً على اعتياد أهالي مكة ويثرب على ذلك.

ومن خلال كل ذلك فلا شك أنه كان لجرش دور محوري في تجارة ما عرف بدرب البخور، بين الشمال والجنوب، وأن هنالك الكثير من الذكر لها مما نحت على الصخر ومما تناقلته الأيدي، قد انزوى مع انزوائها ثم اندثار عمرانها، وتواري آثارها تحت التراب.

كما أن أهل جرش كانوا ممن خاطبهم القرآن ضمنياً، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾"، فيغوث كان صنما بجرش تعبده بطون من مراد وطي وأهل جُرش[(١)]، وكان من الأصنام التي أحضرها عمرو بن لحي ودفع بها إلى قبائل العرب، فدفع بيغوث إلى أنعم بن عوف بن عمرو المرادي. وقد كانت العرب تحج إليه في جرش، نقل الشيباني قال: "حدَثني أبي قال حدَثنا بكر بن عيسى قال حدثنا أبو عوانة عن عاصم عن أبي عثمان يعني النّهدي قال قد حجت يغوث في الجاهليّة"[(٢)]. وقد ورد اسم جرش في المساند اليمنية، ولكن لم يكن النقش واضحا إذ فقد الكثير من النص مما أفقده دلالته، وهو يتحدث عن حروب

(١) انظر، ابن هشام، السيرة، ج١/ص٧٩ ٠مقاتل ابن سليمان، تفسير مقاتل، ج٤/ص٤٥٣ ٠

(٢) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله ابن محمد عباس، دار الخاني ـ الرياض، ط٢ ـ ١٤٢٢هـ /٢٠١م، ج٢/ص٢٣٨ ٠

خاضها شعب جرش في الجوار. كما يرى الكاتب. وان كان النص مشوشاً جداً [(١)].

٤-سكان جرش:

لعل أول ما يثير انتباهنا حول أسماء وألقاب سكان جرش أنهم من أكثر العرب ارتباطاً باسم مدينتهم، إن لم يكونوا أكثرهم في ذلك، فقد كان يطلق على كل من سكن جرش أو قدم منها مسمى "الجرشي"، يستوي في ذلك الحميري[(٢)] والنزاري[(٣)] والعنزي[(٤)]، والمكي[(٥)] والحنفي[(٦)] واليمامي[(٧)]، وغير ذلك، ولعل ذلك دال على طغيان شهرتها على ما سواها. إلا أن الكلبي أورد لجرش تعليلاً آخر، إذ زعم أنه اسم جد، وجعله نسباً رفعه إلى حمير، قال: "ومنبّه، وهو جُرشٌ، بطن"[(٨)]. وقد نقل عنه ياقوت قوله: "جرش أرض سكنها بنو منبّه بن أسلم فغلبت على اسمهم وهو جرش واسمه منبّه بن أسلم بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن أيمن بن الهميسع ابن حمير بن سبأ، وإلى هذه القبيلة ينسب الغاز بن ربيعة بن عمرو بن عوف بن زهير بن حماطة بن ربيعة بن ذي خليل بن جرش بن أسلم، كان شريفا زمن معاوية، وعبد الملك وابنه هشام بن الغاز"[(٩)].

ويظهر أن هذا الرأي بني على ما ورد في بعض الروايات عن النبي (ﷺ) من أنه ذكر في رسالته لأهل جرش اسم "زهير ابن الحماطة"، فقد أوردت بعض المصادر

---

(١) العتيبي، د. محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس ق م حتى القرن السادس الميلادي، وزارة التربية والتعليم. وكالة الآثار والمتاحف. المملكة العربية السعودية، ط١. ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٦٦ـ ٦٨ (نص١١).

(٢) أبو علي الهجري، هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر، دراسات ومختارات، بترتيب حمد الجاسر، ط١-١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج١/ص٤٧ .

(٣) الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، ص٢٢٩الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي، القاموس المحيط، دار الفكر. بيروت، ج٢/ص٢٦٥ .

(٤) أبو علي الهجري، هارون بن زكريا، ج١/ص١٤٢ .

(٥) ابن ماكولا، الإكمال، ج٢/ص٢٣٦ .

(٦) الأثيوبي الولوي، الشيخ محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى، شرح أَلْفيَّة السُّيوطي في الحديث المسمى "إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُّرَر في علم الأثر"، مكتبة الغرباء الأثريَة. المدينة المنورة، ط١. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج٢/ص٣١٧ .

(٧) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي (ت ٣٥٤هـ)، الثقات، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١ . ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج٧/ص٥٣٥ .

(٨) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ)، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: الدكتور ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١ . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٢/ص٥٤٥ .

(٩) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢/ص١٢٦ .

رسالة النبي (ﷺ) إلى أهل جرش ورد فيها قوله: "بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي لأهل جرش، أن لهم حماهم الذي أسلموا عليه، فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت، وإن زهير بن الحماطة، فإن ابنه الذي كان في خثعم فأمسكوه فإنه عليهم ضامن."(١) ، وقد التقط الرواة اسم زهير بن الحماطة ووضعوه في وسط تسلسل نسب ربيعة بن عمرو الجرشي الفقيه المعروف في دمشق كجد رابع له، علما أن ربيعة بن عمرو معاصر للنبي (ﷺ)، ويقال أن له صحبة، وقد رأيت زهيرا هذا أضيف أيضاً إلى نسب "هند الجرشية" أم ميمونة زوجة النبي (ﷺ). وقد رأيت بعد ذلك اتجاه عام إلى تنسيب من حملوا اسم الجرشي. سواء كانوا في جرش أو خارجها. إلى جرش (منبه) بن أسلم بن زيد... إلى حمير، على قول الكلبي، بينما كان للهمداني عن الحميريين في جرش وعن انتماء جرش وعن سكانها كلام آخر في كتاب الصفة وكتاب الإكليل، إذ لم يورد أي حميريين في جرش سوى العواسج أو بعض خولان الذين دخلوا في عنز، وكلاهما طرأوا على جرش حسب روايته، وقد صح كلامه حديثا بدرجة عالية فلم يتفق في نتائج الحمض النووي قبيلة في جرش ولا حواليها من القبائل المحلية ظهرت مع التكتلات الحميرية في اليمن، علما بأنه لم تظهر حتى الآن عينات تخص (قبيلة العواشز) الذين يرى البعض أنهم امتداد للعواسج الذين ذكرهم الهمداني.

وقد ثبتت صحة رواية الهمداني حول صلة قبائل عنز ببعضها وبدرجة معقولة من الدقة، وحول وجود قبائل جنب وخثعم والحجر مجاورة لهم في جرش إلى حد كبير. وهو ما يفترض أن يسير بنا إلى إعادة النظر في مفهوم الأشخاص الذين حملوا اسم الجرشي، فليسوا جميعا من حمير، بل هم من قبائل المنطقة الذين حملوا اسم مدينتهم الذي طغى عليهم كما أسلفنا. وقد نقل عن ابن الكلبي كلام آخر حول سبب مسمى جرش، غير ما سلف، أورده ياقوت عن جخجخ، قال: "وقرأت بخط جخجخ النحوي في كتاب أنساب البلدان لابن الكلبي: أخبرنا أحمد بن أبي سهل الحلواني عن أبي أحمد محمد بن موسى بن حماد البريدي عن أبي السريّ عن أبي المنذر قال: جرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم، خرج بثور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحرّ فشرد الثور، فطلبه فاشتد تعبه، فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم ليجرشن الشعير وليدعونّ على لحمه، فأدركه بذات القصص عند قلعة جرش، وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشياً "(٢).

(١) الصالحي الحنفي، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ)، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، تحقيق محمود الأرناؤوط، راجعه عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢. ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، ص١٦١ .

(٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢/ص١٢٦ .

ونلاحـظ اختـلاف الروايات في المصـادر القديمة حول سـكانٍ جرش، فسـوى ما أوردنـا مـن روايـات يقول ياقوت: "وذكـر بعض أهل السـير أن تبّعاً أسـعد بن كليكرب خـرج مـن اليمن غازياً حتـى إذا كان بجرش، وهي إذ ذاك خربة ومعـدّ حالة حواليها، فخلّـف بها جمعا ممن كان صـحبه رأى فيهم ضـعفا، وقال: اجرشـوا ههنـا أي البثوا، فسـميت جرش بذلك، ولم أجد في اللغويين من قال إن الجرش المقام، ولكنهم قالوا إن الجرش الصـوت، ومنه الملح الجريش لأنه حكّ بعضـه ببعض فصـوّت حتى سحق لأنه لا يكـون ناعما"[(١)]. وقد نجد لحديث ياقوت الذي ذكره هنا، حول القبائل التي سـكنت جرش بعض المصداقية، حيث جرش استوطنتها عدد من القبائل المحسوبة على المعدية والمحسـوبة على القحطانيـة، منها عنز كما هو معلوم، ومنها سـليم كمـا تدل أحداثها قبـل الإسـلام، إذ ارتبطـت بجرش[(٢)] وترج وتبالـة وبيشـة وتثليث[(٣)] وما إليهـا، ومنها عقيـل التي كانت تجـاور رمل زنانير حوالي جرشـ[(٤)]، وفي بعض أحداث عنـز ـــ التي عرفـت في جرشـ ـــ مـا يدل على مجاورة عقيـل لهم[(٥)]، كما اسـتوطنتها قبائل حمير

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢/ص١٢٦ .

(٢) يقول ضمضم بن الحارث يوم حنين :

ونحـن جلبنـا الخيـل مـن غـير مجلب   إلى جُـرَشٍ مـن أرضٍ زيـان والـفم

انظر: السـهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (المتوفى: ٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي. بيروت، ط١ ـ ١٤١٢هـ، ج٧/ص١٩٣. البلادي الحربي، عاتق بن غيـث بن زويـر بن زاير بن حمود بن عطية بن صـالح (ت ١٤٣١هـ)، معجم المعالم الجغرافية في السـيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١ ـ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج/ص١٤٩ .

(٣) إشـارة ضمضـم السلمي لجرش تأتي امتداداً لتاريخ من الحضور لسـليم في المناطق المجاورة لجرش فيما قبل الإسلام ومن ذلك قول ريطة بنت عباس الأصم ترثي أباها:

وكـان إذا مـا أورد الخيـل بيشـة   إلى هـضـب أشــراك انـاخ والجـم

وقول عباس بن مرداس بعد أن أدرك ثأرها:

أبـلـغ قـحـافـة عـنـا في ديـارهـم   والحــرب تـكـشـر عــن نـاب وأضــراس

أنـا قـتـلـنـا بــترج مــن ســراتـهـم   سـبـعـين مـقـتـبـلا صـرعـى بـعـبـاس

كما ان يوم تثليث هو واحد من أيام العرب المشهورة وكان بين سليم ومراد، وقد حضره عمر وبن معدي كرب والعباس بن مرداس ولهما أشعار مهاجاة ؛ انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص٢٩٣ (بيشة)، علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٧/ص١٠٦ .

(٤) انظر: الفيروزبادي، القاموس المحيط، ج٢/ص٤١. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر. بيروت، ط١ ـ ١٩٩٥ م، ج٣/ص١٥١ .

(٥) النيسـابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، ج١/ص٤٠٢ .

كالعواسج[١] وبعض خولان[٢]، ونهد[٣]، وقبائل الأزد كقبائل الحجر[٤]، وقبائل طي[٥] ومذحج كمراد[٦] وجنب[٧]، وقبائل همدان كوادعة، وغيرهم ممن لا زالوا يقطنونها، ناهيك عمن سكنوا مناطق امتدادها الطبيعي في كل الجهات. وقد خرج من سكان جرش عدد من القادة، ممن شاركوا في قيادة الفتوحات الاسلامية مثل عبد عمرو بن يزيد بن عامر الجُرشي، الذي كان أحد قادة معركة فتح فحل[٨]، ومنهم يزيد الجُرشي الذي افتتح زام، وباخرز، وجوين عنوة[٩]، ومنهم سعيد الجُرشي أحد قادة المهدي، وهو الذي حاصر الساحر المقنع واتباعه فيما وراء النهر حتى قضى على حركته عام (١٦٣هـ/٧٧٩م)[١٠]، وغيرهم، ناهيك عن الكثير ممّن خرجوا من جرش وأحوازها، ولكنهم حملوا ألقاباً أخرى.

٥- لمحة عن منتجات جرش الحيوانية والزراعية والصناعية وبعض تجاراتها :

اشتهرت جرش بكثرة خيراتها، وقد نقل البكري عن الهمداني قوله: " قال الهمداني: مرّ تبّع أسعد أبو كرب في غزوته الأولى بجرش، من أرض طود، فرأى موضعا كثير الخير، قليل الأهل، فخلّف فيه نفرا من قومه، فقالوا: بم نعيش؟ فقال: اجترشوا من هذه الأرض، وأثيروها واعمروها؛ فسمّيت جرش "[١١]، وخيرات جرش التي اشتهرت كثير منها الحيوانية ومنها الزراعية ومنها الصناعية ومنها التجارية. كما عرفت جرش في التاريخ بالكثير من المنتجات الزراعية والحيوانية التي ظلت تتميز بها ويشار لها

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، مكتبة الارشاد ـ صنعاء، ط٢. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٢٢٩ .

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، كتاب الاكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد ــ صنعاء، ب ر ط، (١٤٢٩ هـ/٢٠٠٧م)، ج١/ص٢٤٩، ٢٥٦

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٣١ .

(٤) لا زالت تقيم بمواطنها القديمة في السراة إلى الشمال من بلاد عنز بن وائل .

(٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي. بيروت، ط١ ـ (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٨م)، ج٢/ص٢٤١ .

(٦) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/ ص٢٦١ .

(٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٣١ ؛ الإكليل، ج١/ص١٣٩-١٤٨

(٨) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣/ص٤٣٨ .

(٩) ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق احسان عباس، دار صادر. بيروت، ط١. ١٩٦٨م، ج٥/ص٤٦

(١٠) اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١. ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٧٢.

(١١) البكري، معجم ما استعجم، ج٢/ص٣٧٦ .

بالجرشـية، ومن ذلك الإبل الجرشية[١] يقول البكري: "والعرب تقول: ناقة جرشيّة، أى حمراء جيدة"[٢]، وكان يضرب بها المثل، في حمرتها وسمنتها يقول الشاعر:

أتيـتم بـها مـدمـومـة جـرشـيـة تـكـاد مـن الـدمِّ المبـيِّن تـظـلـع[٣]

أي جئتم بها سمينة حمراء كأنها من إبل جرش. ومنه قول لبيد:

بـكـرت بـه جـرشـيـة مـقـطـورة تـروي المحـاجـر بـازل عـلـكـوم[٤]

قال ابن منظور: "قال ابْن برّي في ترجمة حجر: أراد بقوله جرشـيّة ناقة منسـوبة إِلى جُرَش"[٥]

وقول بشر بن أبي خازم:

تحـدر غـرب المـاء عـن جـرشـيـة على جربة تعلو الـديـار غروبـها[٦]

واشـتهرت أيضـاً الأغنام الجرشـية وتسـمى "الحذف" قـال العيني: "قولـه: "كأنها الحـذف"- بفتـح الحـاء المهملة، وفتح الـذال المعجمة، بعدها فاء- جمـع حذفة، وهي غنم صـغار سُـود أكثر ما تكون باليمن، وقيل: هي صـغار جُرد ليس لها آذان ولا أذناب، يجاء بها من جُرَش اليمن"[٧]، أي انها كانت ترد من جرش إلى مكة والمدينة وما اليها[٨]، وعرفت خيل جرش بالجروش، وقد ورد أن النبي (ﷺ) أصـاب فرسـا جروش جرشية (حي من اليمن) فأعطاه رجلا من الأنصار فقال: "إذا نزلت فانزل قريبا مني فإني انشرح إلى صهيلة"[٩].

(١) انظـر: الفيروزابـادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ج٢/ ٢٦٥. ابن منظور، لسان العرب، ج٦ /ص٢٧٢

(٢) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب ـ بيروت، ط٣ ـ ١٤٠٣ هـ، ج٢/ص٣٧٦

(٣) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (ت ٢٥٥هـ)، البرصـان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل ـ بيروت، ط١ ـ ١٤١٠هـ، ص٢٨١ .

(٤) كتاب العين، ج٢/ص٣٠٩ .

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٦/ص٢٧٣ .

(٦) ديوان بشر بن أبي خازم، ص١٤ .

(٧) بدر الدين العينى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى (ت ٨٥٥هـ)، شـرح سـنن أبي داود، تحقيق أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد – الرياض، ط١ ـ ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، ج٣/ص٢١٨ .

(٨) مرتضـى الزَّبيـدي، محمّـد بن محمّد بن عبـد الرزّاق الحسـيني (ت ١٢٠٥هـ)، تـاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٢٣/ص١٢٤ .

(٩) الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق الشـيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشـيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١. ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م، ج٧/ص٣٨٥ .

واشتهرت جرش أيضا بالعنب الجيد يقول البكري: "والعرب تقول: ناقة جُرشيّة، أي حمراء جيدة[(١)]؛ وعنب جُرشيّ: جيد بالغ"[(٢)]، وقد وردت روايات خيالية حول أوصاف عنب جُرش فقيل: " والجُرشيُّ: ضرب من العنب أبيض إلى الخضرة رقيق صغير الحبَّة وهو أسرع العنب إدراكا، وزعم أبو حنيفة أن عناقيده طَوال وحبّه متفرق، قال: وزعموا أن العنقود منه يكونَ ذراعا"[(٣)] كما اشتهرت وعرفت جرش بالشعير والبر الجرشية[(٤)]، جاء في لسان العرب: "والجرشية ضرب من الشعير أو البر"[(٥)].

وبرع الجرشيون في الصناعات المعتمدة على المنتجات الزراعية والحيوانية، فقد اشتهر أهل جرش بصناعة النبيذ، قبل تحريمه، وقد نهى الرسول (ﷺ) أهل جرش عن خلط الزبيب والتمر[(٦)] للانتباذ[(٧)]، ويذكر " دُوزي " أنه كان في جُرش عُرّاف للنبيذ يمتهنون قياس مذاق وحسن صنعة الخمر[(٨)]. واشتهرت جرش بإنتاج الأدم[(٩)]، وقد نسب إليها الأدم المعروف بـ"أدم جرش"، و"أدم جرشي"[(١٠)]. واشتهرت جرش دون سواها بالعديد من الصناعات التي تفردت بها في الجزيرة العربية، ومن ذلك شهرتها في صناعة المنجنيق والدبابات، فقد جاء في السيرة أن النبي (ﷺ) وأهل الطائف قد

(١) الفراهيدي، كتاب العين، ج٦/ ص ٣٥ .

(٢) انظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب - بيروت، ط٣. ١٤٠٣ هـ، ج٢/ص٣٧٦ . الفراهيدي، كتاب العين، ج٦/ص٣٥ .

(٣) ابن منظور الافريقي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ، ج٦/ص٢٧٣ .

(٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ)، اللسان، دار صادر- بيروت، ط٤ - ١٤١٤هـ، ج٦/ص٢٧٢-٢٧٣ .

(٥) ابن منظور الأفريقي، محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣- ١٤١٤هـ، ج٦/ص٢٧٣ .

(٦) الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي (ت٣٨٥هـ)، المؤتَلف والمختَلف، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج١/ص٥٢١ .

(٧) الحيدر آبادي الهندي، محمد حميد الله (ت ١٤٢٤هـ)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس – بيروت، ط٦ – ١٤٠٧هـ، ص٢٩٠

(٨) دُوزي، رينهارت بيتر، تكملة المعاجم العربية،، ترجمه وعلق عليه:ج ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي ؛ ج ٩، ١٠: جمَال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، ط١ - من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م، ج٧/ص ١٨٦ .

(٩) انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ط٢. ١٩٩٥ م، ج٢/ص١٢٦ الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب - بيروت، ط١. ١٤٠٩ هـ، ج١/ص١٤٦. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/ص٤٢ .

(١٠) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي - بيروت، ط٤- (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج١٤/ ص٢٢٥.

أرسلوا إلى جُرش من يتعلم صنعة الدبابات والمجانيق والضبور ويحضرها ويتعلم عليها هنالك قبل حصار الطائف[١]، يقول أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة أنَّ: "عُروة بن مسعود وغيلان بن سلمة كانا تاجرين خرجا إلى جُرَش بعد قصد رسول الله (ﷺ) إلى مكّة عام الفتح يتعاملان على الدَّبَّابات والمنجنيق والعرَّادات فأحكما ذلك ففتح الله عزّ وجلّ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ورجعا هما إلى الطَّائف فلمّا قدماها نصبا المنجنيق في جوف الحصن وجعلا الدَبَابات وأعدّوا للقتال"[٢]، وعروة كان تاجراً من أهل الطائف يتنقل خلف تجارته فيصل إلى نجران[٣]، وحواليها جرش. وقال ابن هشام: "ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطّائف عروة بن مسعود، ولا غيدان بن سلمة، كانا بجُرش يتعلمان صنعة الدّبّابات والمجانيق والضبور"[٤]، وكما شاهدنا، فقد وردت الرواية في عدة مصادر تاريخية قديمة، بروايات مختلفة، ولكن كلها أشارت إلى جُرش بالضم، وهو ما يدل على جرش السراة اليمانية الواقعة في منطقة عسير، وهكذا درج الجميع على فهم الرواية في العصر الحديث أيضاً[٥]. يقول ناصر الدين الأسد: "وكانت بعض المدن تختص بضرب من هذه الصناعات دون غيره، فتشتهر به، ويؤمها الناس يتعلمون هذه الصناعة من أهلها، ثم يعودون إلى موطنهم بطريف لم يكونوا يعهدونه[٦]، من أمثلة ذلك ذهاب عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة من الطائف إلى جرش في اليمن ليتعلما بعض الصناعات الحربية. قال ابن إسحاق: "ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينها، وصنعوا الصنائع للقتال. ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق

(١) انظر: الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، ج٢/٢٣٤ ٠ الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط٧.١٩٨٨م، ص٥ ٠ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٩/٢٣٤ ٠ ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢ ـ ١٣٧٥هـ /١٩٥٥م، ج٢/ص٤٧٨ ٠

(٢) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت٤٣٠هـ)، دلائل النبوة، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس. بيروت، ط٢. ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م، ج١/ص٥٣١ ٠

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ج١/ص٥٣١ ٠

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، نفس المصدر، ج٢/ص٤٧٨ ٠

(٥) انظر: شرّاب، محمد بن محمد حسن، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت، ط١ – ١٤١١هـ، ص٨٩ ٠ الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف. القاهرة، ط٧ ــ ١٩٨٨م، ص٥ ٠

(٦) إلى هنا من المتن، وما بعده من تعليق المؤلف في الحاشية السفلية (الهوامش) ٠

والضبور"[١]. كما اشتهرت جرش بالمنسوجات الجرشية[٢]، والأخشاب والصناعات الخشبية، كالمسمورة الجرشية[٣]. وكمركز تجاري هام، وسوق نشط، تقصده الركبان من كل صوب، فقد كانت تجارة الرقيق نشطة بجرش، وممن اشتهر من الرقيق الذين بيعوا من قبل تجار جرش: "الخيزران" أم هارون الرشيد التي استقدمت من أحد تجار الرقيق الجرشيين إلى جرش ثم بيعت من سوق جرش الى مكة[٤]، ومنهم الوليد بن عبدالرحمن الجرشي، مولى آل سفيان الأنصاري[٥]

٦ـ روايات دخول الإسلام والحالة الادارية في جرش:

قد جاء في إسلام أهل جرش روايتان، إحداهما رواية ابن اسحق وهي تحكي قصة حضور وفد الأزد وفيهم الصرد بن عبدالله إلى رسول الله (ﷺ)، ومن ثم فقد أمَّره الرسول (ﷺ) على الوفد وعلى قومه، وأمره أن يحارب من يليه من الكفار، فغزا جرش حتى إذ استعصت عليه تظاهر بالهزيمة وعاد إلى جبل شكر ووضع لهم كمينا حتى إذ خرجوا في طلبة مال عليهم وتمكن منهم، وكان أهل جرش قد أرسلوا وفدا إلى الرسول (ﷺ) ليتقصى، ثم كان ما بقي من القصة، إلى أن عاد أهل جرش واسلموا، وارسلوا وفدا إلى رسول الله[٦]. والرواية الأخرى تقول بأنه أسلم أهل جرش في عهد النبي ﷺ سلماً دون حرب من خلال وفدهم لرسول الله ﷺ، وقد حمى الرسول لأهالي جرش حمى، وجعل على كل حالم من أهل الكتاب ممن بهما ديناراً وأمرهم بضيافة المسلمين، وولى عليها أبو سفيان ابن حرب[٧]. وكثرة الروايات حول قصة اسلام جرش هي امتداد لما يثار دائما حولها من القصص والأساطير، ولعل ذلك بسبب أهميتها التاريخية، ولا شك أن لبعدها عن موقع تداول هذه الروايات في الشام والعراق خلال

---

(١) الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف ـ القاهرة، ط٧ ــ ١٩٨٨م، ص ٥ ٠

(٢) شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ، ص٦٨ ٠

(٣) للمزيد، انظر: منصور العسيري، بحث" مع الهجري بين السراة والعالية"، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج١٦/ص٢٩٠.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٦٤ ٠

(٥) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢/ص١٢٦-١٢٧ ٠

(٦) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده –القاهرة، ط٢ ـ ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م، ج٢/ص٥٨٧ ٠

(٧) انظر: البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله وعمر ابني أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٧٩ ٠ البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر – الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص٢٦٩ ٠

القرن الثاني وما بعده أثر أيضـاً في تداخل الروايات وتناقضـها حول قصـة اسـلامها. وقـد ظلت في جرش إدارة محليـة، وكان عاملها تابعا لولاية مكة مباشـرة، وقد تخالف عليهـا الولاة حتى القـرن الخامس، وكان ممن ورد ذكره في ولاية جرش أبو سـفيان بن حرب(١)، وسـعيد بن القشب(٢)، والصـرد بن عبدالله(٣)، وعبدالله بن ثور(٤)، ومحمود بن لبيد(٥)، والموصلي(٦).

وأول مـن تـولى علـى جرش في الإسـلام هـو أبو سـفيان ابن حرب، ولاه الرسـول (ﷺ)، إذ ورد في المصادر أنه: "أسلم أهل تبالة وجرش من غير قتال، فأمرهم رسول الله (ﷺ) على ما أسـلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب دينارا. واشـترط عليهم ضيافة المسـلمين. وولى أبا سفيان بن حرب جرش" (٧)، وورد في بعض المصـادر أن النبي (ﷺ) ولى الصـرد بن عبدالله على جرش، وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس والراحلة والمثيرة فمن رعاه فماله سـحت(٨). ثم ولى الرسـول (ﷺ) سـعيد بن القشـب الأزدي على جرش وبحرها(٩)، وولى أبا سـفيان

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٩ .

(٢) انظر: العصـفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٩٧ . عز الدين ابن الأثير، أبو الحسـن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أسد الغابة، دار الفكر – بيروت، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ج٢/ص٢٤٧.

(٣) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، الجزء المتمـم لطبقات ابن سـعد ـ الطبقة الرابعة من الصـحابة ممن أسـلم عند فتح مكة ومـا بعد ذلك، تحقيق ودراسة: د. عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق - الطائف، ١٤١٦ هـ، ص٧٩١ .

(٤) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١- ١٤٢٣هـ، ج١٩/ ص١٤٤٠

(٥) الزهري، محمد بن سعد بن منيع، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٤/ ص١١٠ .

(٦) أشار له الهمداني في كتاب، الإكليل (ج٢/ص١٤٦) وذكر انه كان عاملاً لسلطان مكة على جرش .

(٧) انظـر: البلاذري، فتـوح البلدان، ص٧٩ . البغـدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصـناعة الكتابة، شـرح وتحقيق الدكتور محمد حسـين الزبيدي، دار الرشـيد للنشـر - الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص٢٦٩ .

(٨) ابن هشـام، عبدالملك بن هشـام بن أيوب الحميري المعافري، السـيرة النبوية لابن هشـام (ت ٢١٣هـ)، تحقيق مصـطفى السـقا وابراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شـلبي، شركة ومطبعة مصـطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصـر، ط٢ـ ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج٢/ص٥٨٨. ابـن سـعد، أبو عبـد الله محمد بن سـعد بن منيع الهاشـمي بالولاء، البصـري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، الجزء المتمم لطبقات ابن سـعد ـ الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك، تحقيق ودراسة: د. عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق - الطائف، ١٤١٦ هـ، ص٧٩١ .

(٩) العصـفري، أبـو عمرو خليفة بن خيـاط بن خليفة الشـيباني (المتوفى: ٢٤٠هـ)، تاريـخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة ـ الرياض، ط٢ ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٩٧ .

نجران، وحسب قول أبي حيان التوحيدي فلا خلاف بين الرواة وأصحاب التاريخ أن النبي ﷺ توفي وأبو سفيان بن حرب على نجران، وسعيد بن القشب الأزدي حليف بني أمية على جرش(١)، وبعد وفاة الرسول ﷺ ولى أبو بكر على جرش عبد الله بن ثور(٢).

شارك أهالي جرش في حروب الردة في مرحلة ولاية عبد الله بن ثور، إذ ذكر الطبري في معرض سرده لحملة ابي بكر رضي الله عنه على المرتدين في اليمن أنه كتب إلى عبد الله بن ثور ضمن من كتب إليهم بأن "يجمع إليه العرب ومن استجاب له من أهل تهامة، ثم يقيم بمكانه حتى يأتيه أمره."(٣). إلى أن قال: "كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد عن عروة بن غزية وموسى، عن أبي زرعة السيبانى، قال: ولما فصل المهاجر بن أبي أمية من عند أبي بكر- وكان في آخر من فصل- اتخذ مكة طريقا، فمر بها فاتبعه خالد بن أسيد، ومر بالطائف فاتبعه عبد الرحمن بن أبي العاص، ثم مضى حتى إذا حاذى جرير بن عبد الله ضمه إليه، وانضم إليه عبد الله بن ثور حين حاذاه، ثم قدم على أهل نجران، فانضم إليه فروة بن مسيك، وفارق عمرو بن معد يكرب قيسا، وأقبل مستجيبا، حتى دخل على المهاجر على غير أمان، فأوثقه المهاجر، وأوثق قيسا، وكتب بحالهما إلى أبي بكر رحمه الله"(٤). وممن ورد أنه تولى إمارة جُرَش(٥) محمود بن لبيد، أمَّره يحيى بن الحكم، وقد ورد الحديث في المصدر الأول برسم "جُرَش" بضم الجيم، وورد في أحد المصادر بلا ضم ولا فتح(٦)، والراجح أنه تأمر على جرش الطود (جرش السراة)، إذ كان يحيى بن الحكم(٧) (الذي أمَّر لبيد) واليا على مكة في عهد يزيد (٦٠-٦٤ هـ) عندما دخل ابن الزبير مكة(٨)،

---

(١) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية ـ بيروت، ط١ـ ١٤٢٤هـ، ص٢٠٦ .

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/ ص١٤٤ .

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣/ص٣٢٨ .

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣/ص٣٢٩ .

(٥) وردت في الطبقات الكبرى بضم الجيم وفتح الراء على وزن عُمَرٌ، وهو اللفظ الذي تختص به جُرَش العسيرية، انظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، نسخة: تحقيق د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط١ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م، ج٤/ص١١٠؛ ونسخة: دار صادر ـ بيروت، ط١ -١٩٦٨م، ج٤/ ص١١٧ .

(٦) ابن عبد البر، الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، حققه وعلق عليه: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج١/ص٥٣ .

(٧) هو: يحيي بن الحكم بن صفوان بن أميّة بن خلف الجمحي، انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ج٥/ ص٣٠٧ .

(٨) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في أخبار الملوك والأمم، دراسة وتحقيق

بينمــا تــولى يحيى بن الحكم بن أبي العاص على المدينة في عهد عبدالملك[١]، وكلاها لا يمتد نفوذه على جرش الشــام، ولكنه يمتد على جرش الســراة، ونحن وإن كنا لا نملك إشــارة مباشرة إلى أن ولاية محمود بن لبيد كانت على جرش السراة العسيرية، إلا أننا لم نجد ما يشــير إلى تولي يحيى بن الحكم بن أبي العاص على جهات الشــام من صوب جرش الشامية، إذ أنه تولى في مرحلة لاحقة - بعد مرحلة المدينة - على حمص، ولا يمكن أن يكون له نفوذ خلالها على جرش الأردن، لبعدها، ولوجود دمشق - عاصمة الخلافة - بينهما، كما أنه عزل عن المدينة عام (٧٦هـ/٦٩٥م)، بينما توفي عبدالله بنٍ جعفر عام (٨٠هــ/ ٦٩٩م)[٢]، ولم يــرد أن الخليفة عبدالملك قد أبدل عمــه ولايةً بدلاً من المدينة في حينه، فالرواية تقول أنه عزله لســوء تصــرفه، عندما أوكل أمر المدينة إلى أبان بن عثمان وحضر إلى عبدالملك دون إذن منه، فغضب منه وأقر أباناً على المدينة وعزله[٣].

ومن ثم فإن رســم الاســم في المصــدر (بالجيم المضــمومة)، وخبر ولاية يحيى بن الحكم على مكة التي يمتد نفوذها على جرش السراة تجعلنا نؤيد وبقوة أن إمارة محمود بن لبيد كانت على جرش السراة. وممن تأمر على جرش: "الموصلي"، وكان عاملاً على جرش لوالي مكة ما بين الربع الأخير من القرن الثالث والربع الأول من الرابع للهجرة، أشار له الهمداني، وذكر بعض الأحداث التي جرت في عهده[٤].

وقد أشــارت المصــادر التاريخية إلى اســتمرار وجود الولاية في جرش وتبعيتها إلى ولايــة مكــة إلى نهاية القرن الخامس مــن التاريخ الهجري، ومن ذلــك ما ورد لدى ابن خرداذبــة في القــرن الثالث[٥]، وما شــهد بــه الهمداني في القــرن الرابــع[٦]، وما نقله البكري في القرن الخامس[٧]ومنذ أن انقطعت الولاية، وتوارى حضورها التاريخي بشكل كامــل، بــدأت مدينة جرش تندثر تحــت الرمال، حتى لم يبق من آثارهــا إلا أطلال، لم

محمــد عبدالقادر عطا ومصــطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بــيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٦/ ص١٣٨ ٠

(١) ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة، ص٢٩٦ ٠

(٢) الطبراني، أبو القاسـم سـليمان بن أحمـد بن أيوب بن مطير اللخمي الشـامي، المُعْجَـمُ الكَبِير للطبراني المُجَلّدان الثّالثَ عَشَرَ والرابع عشر، تحقيق فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبدَ الله الحميد و د/ خالد بنَ عبد الرحمن الجريسي، ج١٤/ص١٣٧ ٠

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/ص١٥٢ ٠

(٤) الهمداني، الإكليل، المصدر السابق، ج٢/ص١٤٦-١٤٨ ٠

(٥) ابـن خرداذبة، أبو القاسـم عبيـد الله بن عبد الله (المتوفى: نحو ٢٨٠هـ)، المسـالك والممالك، دار صـادر أفست ليدن، بيروت، ١٨٨٩م، ص١٣٣ ٠

(٦) الهمداني، الإكليل، المصدر السابق، ج٢/ص١٤٦-١٤٨ ٠

(٧) البكري الأندلسـي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (المتوفى: ٤٨٧هـ)، معجم ما اسـتعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ، ج١/ص٣٠٩ ٠

يـر معظمهـا النور إلا في العصـر الحالي، حيـث تم التنقيب فيها، ووجـدت آثار قديمة مدفونة تحت الرمال، وقد ظلت منطقة السراة كاملة على حالها، منذ أفول نجم جرش، وانقطـاع الولايـة في القرن الخامس إلى ما قبل قيام الدولة السـعودية الأولى، بدون أي نظام سياسي موحد شامل، كما تشير الكثير من المصادر[١].

٧ـ العلم والفقه في جرش:

خـلال القـرن الأول والثاني من الهجرة، يبدو أنه كان هنالك نشـاط جيد للعلم في جرش، وقد تميزت هذه المرحلة بخروج عدد كبير من رجال العلم من جرش، بعضـهم حمل اسم الجرشي، وبعضهم حمل أسماء أخرى، وقد أشارت لهم الكثير من المصادر، بـل لقد ربط العديد من الأخباريين والبلدانيين ذكر جرش بالإشـارة لتعددفقهائها[٢]، وتقصـي فقهاء جرش والتعريف بهم ليس بغيتنا هنا، بقدر تقديم لمحة موجزة لإيصال الفكرة حول مكانة جرش خلال القرنين الأولين للهجرة، إذ أن تعداد الفقهاء الجرشيين بالمئات، وهو بحاجة لدراسة خاصة به .

فقد كان بجرش حلق للعلم، خرج منها عدد من الفقهاء والمحدثين، بعضهم حضر من خارج جرش، ومن هؤلاء الذين حضروا لجرش من الفقهاء نجد: عيسى بن ميمون الجِرشـي، المحـدث المكي الـذي كان يسـكن بجِرش[٣]، ويونـس ابن القاسـم اليمامي الجُرشي[٤]، وعمر بن يونس الحنفي اليمامي الجُرشي[٥] (توفي سنة٢٠٦هـ)[٦]، والنضر

---

(١) ابـن المجاور، يوسـف بن يعقوب بن محمد الشـيباني، تاريخ المستبصـر، راجعه ووضـع هوامشـه ممدوح حسـن محمـد، مكتبة الثقافـة الدينية. القاهـرة، ١٩٩٦م، ص٣٧- ٣٨، ٤٩-٥١ الربعي، سـيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ١٢٠ـ ١٤١ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥/ ص٣٨ المؤيدي، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط، ورقة ٣٢٢ـ ٣٣٧ أبو داهش، أهل السـراة في القرون الوسـيطة، ص١٥١-١٥٣٠ الحفظي، محمد بن أحمد، "نصـيحة وموعظة للشـيخ محمد بن أحمد الحفظي العسيري اليمني رحمه الله تعالى آمين"، مخطوط لدى الكاتب صورة منه، ورقة (١) .

(٢) انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ص ١٢٦ .

(٣) ابن ماكولا، الإكمال، ج٢/ص٢٣٦ .

(٤) الأثيوبـي الولـوي، الشـيخ محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسـى، شـرح أَلْفيَّة السُّـيوطي في الحديث المسـمى "إسـعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُّرَر في علم الأثر"، مكتبة الغرباء الأثَرِيَة. المدينة المنورة، ط١ـ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج٢/ص٣١٧ .

(٥) المباركفـوري، أبـو العـلا محمد عبد الرحمن بن عبـد الرحيم (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشـرح جامع الترمذي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ج٦/ص٧ .

(٦) المهـرواني، الهمذاني، أبو القاسـم يوسـف بـن محمد بن أحمد بـن محمد بن أحمد (المتوفـى : ٤٦٨هـ)، المهروانيات "الفوائد المنتخبة الصـحاح والغرائب"، تخريج الشّـيخ الإمام أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغداديّ، دراسـة وتحقيق د. سـعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي، منشـورات الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة، ط١ـ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج٢/ص٦١٨.

بن محمد اليمامي الجُرشـي، من اهل اليمامة[١]، كان من سـاكني جُرَش[٢]، وغيرهم، وقـد تواجـد معظم هؤلاء بجُرش خلال القرن الثاني للهجرة، فنشـطت حلق العلم بها، إلا أن الحروب التي اندلعت في جرش بين عنز بن وائل والعواسـج، ربما أدت إلى تراجع الوضـع العلمي، ورحيل معظم رجال العلم خلال تلك المرحلة، ومعظم هجرة من هاجر منهم من جُرش كانت إلى الشـام، فاسـتوطنوا دمشـق، فعرفوا بالشـام وعرفت بهم، فكان لهم ولأبنائهم وأحفادهم حضور علمي قوي هنالك، قال ابن المواق: "والجُرَشيون بالشام ينسبون إلى جُرَش، وهي مدينة باليمن"[٣]. إذن فكل من هو جرشي بالشام فهو من جُرَش الطود العسيرية.

ساقت بعض المراجع أسماء الجُرشيين من الفقهاء والمحدثين، وهي كثير، ونختصر من ذلك ما أورد ابن ماكولا في باب "الجُرشي والجَرشي والحرشي والحرسي والخرسي والحدسـي" قال: أما الجرشـي بضم الجيم وفتح الراء وكسر الشين المعجمة فهو ربيعة الجرشـي، له صحبة وفي صـحبته نظر، يروي عن عائشة رضي الله عنه وهو جد هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشـي، ونافع الجرشـي، أنه حين بعث النبي ﷺ دعوا كاهنًا كان في رأس جبل فقالوا: انظر لنا في شـأن هذا الرجل، الحديث رواه محمد بن إسحاق عن ابن شـهاب عن عبد الله بن كعب مولى آل عثمان أنه حدثه قال حدثني نافع الجرشـي، وأبو سفيان الجرشي، وأبو منيب الجرشي، يروي عن عبد الله بن عمر، روى عنه حسان بن عطية، وهشام بن الغاز الجرشي، ويزيد بن الأسود الجرشي، أبو الأسود تابعي، قال أدركـت العزى تعبـد في قومي، والوليد ابن عبد الرحمن الجرشـي، يروي عن جبير بن نفير، وعبد الوهاب بن هشام بن الغاز الجرشي شامي، روى عن أبيه هشام، حدث عنه ابنـه محمد بـن عبد الوهاب والوليد بن مزيد البيروتـي، وابنه محمد بن عبد الوهاب، حدث عن أبيه، روى عن العباس بن الوليد بن مزيد، وأيوب بن حسـان الجرشـي، يروي عن الوضين بن عطاء وهشام بن الغاز، وقتادة بن الفضل الجرشي، يروي عن الأعمش وغـيره من الكوفيـين، روى عنه علي بن بحر بن بري وغيره، كان ينـزل حران، والنضـر

(١) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي (ت ٣٥٤هـ)، الثقات، طبع بإعانة وزارة المعـارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة الدكتـور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١ ـ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج٧/ص٥٣٥ .

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تلخيص المتشابه في الرسم، تحقيق سُكينة الشهابي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ دمشق، ط١ ـ ١٩٨٥م، ج١/ص٤٨٣ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خلف بن فرج بن صـاف المراكشـي المالكي المعروف بابن المواق (المتوفى: ٦٤٢ هـ)، بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب "البيان" وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد خرشـافي، مكتبة أضـواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج٢/ ص١٩١ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/ ص١٥٢ .

بــن محمد الجرشــي، روى عن عشــبة وعكرمة بــن عمار وغيرهمــا ، روى عنه عبد الله بن الرومي وأحمد بن جعفر المقري وأحمد بن يوســف الســلمي وغيرهم، وســليمان بن أحمد الجرشــي، وعمر بن يونس بن القاسم الجرشي اليمامي وهو جد أحمد بن محمد بــن عمر بن يونس، وإبراهيم بن عبد الحميد الجرشــي، يروي عن أبي شــيبة إبراهيم بــن عثمــان، الحارث بن عبد الرحمن بن عمرو بن ربيعة الجرشــي، وهو من ولد جرش بن أســلم بن زيد بن غوث، كان في صــحابة أبي جعفر، وكان جميلاً شــجاعًا، الغاز بن ربيعة ابن عمرو بن عوف، كان شريفًا زمن معاوية وعبد الملك، هو من بني جرش أيضًا وهــو منبــه بن أســلم بن زيد بن غــوث، علق المحقق هنا في الحاشــية بقولــه: " العبارة المحجــوزة ثبت في نص فقط والله أعلم[١] . بهامش الأصــل حاشــية قد أدرجت في متن هـ[٢] .علــى العادة وهذه صــورتها "ض: ورجاء أبو يحيى الجرشــي "يأتي في الإكمال في رســم الحرشي بالحاء المهملة" صاحب السقط عن يحيى بن أبي كثير حدث عنه يحيى ابن حماد. وعيســى بن ميمون الجرشــي روى عنه أبو عاصــم وغيره كان ينزل جرش. وأبو عون الجرشــي يروي عنه ثور ابن يزيد. وإبراهيم بن موســى بن عثمان الجرشــي يروي عن النضر بن محمد الجرشي. وأحمد بن محمد بن عمر الجرشي عن النضر بن محمد الجرشــي، ورى عنه أبو بكر بن أبي داود. وأبو حفص عمر ابن محمد بن الغازي الجرشــي عن محمد بــن تميم" وفي الأنســاب "وحميد بن الحكم الجرشــي يروي عن الحسن من أهل البصرة روى عنه موسى بن إسماعيل... منكر الحديث" [٣].

٨ـ خلاصة القول عن جُرَش السراة :

(*) مما سبق حول جرش السراة نستنتج ما يلي:

١- جرش الســراة مدينة قديمة، كمــا يظهر من آثارها، ولكننــا حتى الآن لا نعلم متى كانت بدايتها، ولم نصــل إلى واقع جرش الســراة القديم فيما قبل الميلاد والقرون الأولى من التاريخ، إلا أننا نجد ذكرا عند بطليموس وفي بعض النقوش ـ كمــا أســلفنا ـ قــد يكون لها، ولكن الملاحظــة الأهم هــي أن آثارها ذات طابع محلي، فهي إذن تدل على نشاط سكاني محلي قديم في الموقع .

٢- تكــرر ذكر جرشــ كمدينة تمويل تجاري وغذائي في تفســير القــرآن، ويمكننا

(١) ابن ماكولا، الأمير الحافظ أبو نصــر علي ابن الوزير هبة الله بن علي بن جعفر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنســاب، دار الكتاب الإســلامي ـ القاهرة، ط٢ ـ ١٩٩٣م، ج٢/ ص٢٣٤-٢٣٦ .

(٢) تعني نسخة أخرى من المخطوط سوى النسخة المحققة .

(٣) ابن ماكولا، الاكمال، ج٢/ ص٢٣٦ (حواشي سفلية نقلها المحقق من حواشي الأصل) .

بالتالي أن نقول بأن جرش فيما قبل الإســلام ومع بدايات البعثة النبوية كانت مدينة تجارية هامة ومشـهورة تتصـل تجارتها وتجارها بتجار مكة وما حولها ذهابا وإيابا، ومن ثم فمن الطبيعي أن يذهب تاجر من مكة أو سواها من مدن الجزيـرة العربية إلى جرشـ بذاتها، أو أن يأتي تاجر مـن جرش إلى أي مدن الجزيرة العربية فيعرف بجرشيته ٠

٣- جرش السـراة مدينة مركزية لمساحات كبيرة، وتتبع لها مدن كثيرة، ولا يوجد في محيطها مدينة تجاريها في الشهرة، والمكانة التجارية ٠

٤- ذهاب بعض الصـحابة وأهل الطائف إلى جرش السـراة لشـراء والتعلم على المنجنيـق والعرادات والدبابات يدل على شـيوع اسـمها كمدينة تضـرب إليها أكباد الإبل، ويشد إليها الرحال بذاتها ٠

٥- كثرة منتجاتها وتنوعها وشهرتها يدل على عبور منتجاتها إلى المناطق الأخرى بشكل مستمر ٠

٦- كان ذكـر جرش أعلى ما يمكن في القرنين الأول والثاني للهجرة ثم بدأ ذكرها يتوارى بعد ذلك٠

ثالثاً: الاشتباه في دلالة بعض الروايات حول (جرش):

فيمـا تقدم اقتصـرنا علـى النقل فيما ثبت نصـاً إحالتـه إلى جرش السـراة من الأخبـار، وأهملنا ما تثور حوله الشـكوك للنظر. ومما ذكرنـاه حتى الآن نجد أن جُرش السـراة، الواقعـة في منطقة عسـير كانـت غنية بالخـبر والأحداث فيما قبل الاسـلام وأثنـاء البعثـة النبوية امتداداً إلى القرن الثاني (تقريبا)، بل وتكون ضـمن الصـدارة في الذكـر عندما نتحـدث عن الإنتاج الحضـاري وعن الدور الاقتصـادي والتجاري في الجزيرة العربية، وهو ما نكتفي بالوصول اليه إلى هنا. إلا أن هنالك بعض الاخبار التي وردت عن "جرش" واختلف فيها الرواة بين "جُرَش" منطقة عسير (مضمومة الجيم) و"جَرَش" الشـام (مفتوحة الجيم)، وسـنناقش في هذا البحث ما يتعلق بالتداخل بين جرش عسير وجرش الشام.

وجرش الشـام هي مدينة أثرية، تقع في الجزء الشمالي الغربي من الأردن، ما بين عمّـان وإربد، إلى الشـرق من عجلـون، والى الغرب من مدينة المفـرق، وبها آثار جميلة تفوق ما في مدينة جرش السراة، تدل على مدينة عظيمة كانت قائمة فوق هذه الأرض، وهي الآن مدينة سـياحية أردنية يقصـدها الناس من أقاصـي الأرض لمشـاهدة الآثار الرائعة بها، ويقام بها مهرجان سـنوي هو أحد أشـهر المهرجانات العربية. وسـندرس

في الفقـرة اللاحقـة لهـذه مدينة جرش الشـامية، وتاريخها، ومـا ورد عنها في مراحل التاريـخ القديم والإسـلامي، لتقييم ملاءمة الأخبـار لها أم لجرش العسـيرية، ولكننا قبل ذلك سـنناقش في هذا المبحث الأخبار ذاتها، وسـنحاول أن نتلمس فيها مدى اتجاه الدلالة لهذه أو لتلك من داخل النصـوص الحديثية. بخصـوص ما تثور حوله الشـكوك من الأخبار، فسنورد منها:

١ـ ما رواه ابن حبان في كتاب الثقات، والحاكم في المسـتدرك، إذ جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قد زار جرش مرتين بدافع التجارة، فقد أورد ذلك وصححه أبو عبدالله الحاكم في مسـتدركه قال: (حدّثنا أبو عبد اللّه محمد بن يعقوب، ثنا علي بن الحسـن الهلالي، ثنا معلّى بن أسد العميّ، ثنا حماد، والرَبيع بن بدر، عن أبي الزبير، عن جابر رضي اللّه عنه، قال: "استأجرت خديجة رضوان اللّه عليها رسول اللّه ﷺ سفرتين إلى جُرَش كل سـفرة بقلوص" هَذَا حَدِيثٌ صَـحِيحُ الإِسْـنَاد [١]. وقد ورد الحديث في كتاب الثقات المحقق غير مشكّل [٢]، فلا ضم ولا فتح، بينَما جاء مضموم الجيم ومفتوح الراء عند الحاكم، كما هو رسـم جُرَش السـراة، وقد نقل عن الحاكم برسـم "جُرش"، وقد كان الأخباريون يفرقون كتابة جرش السـراة عن تَلك الشـامية بضـم الجيم في الأولى وفتحهـا في الثانية. وقد أورد الحديث عدد من المصـادر نقلا عـن الحاكم [٣]. كما هو، وكان ممـن نقلوا عنه ابـن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، إلا أنه علق قائلاً: "قلت: إن صح الحديث، فإنما هو المفتوح الذي بالشّـام، ولا يصـح، فإن الربيع بن بدر هذا هوَ عليلة، ضـعّفه أئمة الحديث" [٤]. وعلق الحلبي على الرواية في سَياق نقدي، ومما قال: "..عن

(١) أبـو عبـد اللّه الحاكـم، محمد بن عبد اللّه بـن محمد بن حمدويه بـن نُعيم بن الحكم الضـبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق ونشر: دار التأصيل ـ مركز البحوث وتقنية المعلومات ـ القاهرة، ط١ـ ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، مج٥/ص٤٢٤ـ٤٢٥، (ح ٤٩٠٢) .

(٢) ابـن حبـان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بـن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، (ت ٣٥٤ هـ)، الثقات، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١ – ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج٨/ص٣١٧ .

(٣) انظر : النيسابوري، أبو سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٤٠٧هـ)، شرف المصطفى، دار البشـائر الإسـلامية – مكة، ط١ – ١٤٢٤هـ، ج١/ص٤٣٩. الحرضـي، يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري (ت ٨٩٣هـ)، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسـير والشـمائل، عني به أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشـيخي، دار المنهاج – جدة، ط١ ـ ٢٠٠٩م، ص٦٦. الصـالحي الشامي، محمد بن يوسـف (ت ٩٤٢هـ)، سـبل الهدى والرشـاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضـائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحوالـه في المبـدأ والمعاد، تحقيق وتعليق الشـيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشـيخ علي محمد معوض، دار الكتـب العلميـة ـ بيروت، ط١ـ ١٤١٤هــ – ١٩٩٣م، المقدمة، ص١٠. الحلبي، أبو الفـرج علي بن إبراهيم بن أحمد، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى : ١٠٤٤هـ)، السـيرة الحلبية "إنسـان العيون في سيرة الأمين المأمون "، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٢ ـ ١٤٢٧هـ، ج١/ص ١٩٧ .

(٤) ابـن قيـم الجوزية، محمـد بن أبي بكر بن أيوب بن سـعد شـمس الدين ابـن قيم الجوزيـة، زاد المعاد في

مسـتدرك الحاكم وصـححه وأقره الذهبي عن جابر: أن خديجة اسـتأجرته ﷺ سفرتين إلى جرش بضم الجيم وفتح الراء: موضع باليمن كل سفرة بقلوص، وهي الشابة من الإبل، وهو يفيد أنه ﷺ سافر لها سفرات أربعا كما تقدم، ولعل سوق حباشة هو جرش، وإلا لزم أن يكون ﷺ سافر لها خمس سفرات: أربعة إلى اليمن، وواحدة إلى الشام، وما تقدم عن الروض الباسـم من أنها اسـتأجرته في سفرة إلى الشـام بأربع بكرات لا يناسب ما تقدم عـن ميسـرة. قد جاء في بعض الروايات: أن أبا طالب جـاء لخديجة، وقال لها: هل لك أن تستأجري محمدا؟ فقد بلغنا أنك استأجرت فلانا ببكرتين، وليس نرضى لمحمد دون أربع بكرات، فقالت خديجة: لو سألت لبعيد بغيض، فكيف وقد سألت لحبيب قريب؟.

لا يخفى أن كون سـفره ﷺ مع ميسـرة بسـوق حباشـة قبل سـفره معه إلى الشام مخالف لظاهر ما تقدم من قول عمه أبي طالب: (وهذه عير قومك قد حضـر خروجها إلى الشام، فلو جئتها فوضعت نفسك عليها)، وقول خديجة: (ما علمت أنه يريد هذا). وإنما قلنا ظاهر، لأنه يجوز أن يكون بعد قول أبي طالب، وقولها المذكور أرسـلته ﷺ مع ميسـرة إلى سـوق حباشة لقرب مسافته وقصر زمنه، ثم أرسلته مع ميسرة إلى الشام، أو كانت خديجة لا تجوّز أن أبا طالب يرضى بسفره إلى الشام، وأنه ﷺ يوافق على ذلك فليتأمل." [١]. وقد ذب عن رأي ابن الجوزية جمال ابن محمد السيد في كتابه "ابن قيم الجوزيـة وجهوده في خدمة السـنة وعلومها"، "قال: وإنّما قام بضـبط ذلك وتحريره: ليبين أن المقصـود في هذا الحديث "جَرَش" الشـام؛ وذلك لأنّه كان بصدد الكلام عن سفر النبي ﷺ بتجارة خديجة إليها، فنبه على ذلك حتى لا تلتبس بـ "جُرَش" المضمومة التـي باليمن" [٢]. الحديث بالنسـبة لنا هو خبر تاريخي علـى كل حال، وهو دال في أقل الأحـوال على مرحلته، والثقة بصـحة نقله في منتصـف القرن الثـاني عالية جدا، وهو مرحلة الربيع بن بدر الذي عاصر أبا الزبير (توفي ١٢٨هـ)، وعاصر من نقل عنه الخبر حمـاد بن زيد (توفي ١٧٩هـ)، ما يعني أن الربيع نقل الخبر قبل عام (١٢٨هـ/٧٤٥م)، ورواه قبـل عام (١٧٩هـ/٧٩٥م)، ويتجه التضـعيف كما ذكـر ابن الجوزية في كونه كان يـروى قبله أم لا، وبين تصـحيح الحاكم للحديث وتضـعيف ابـن الجوزية، يظل الخبر خـبرا تاريخيا هاما، ومتن الحديث يتوافق مع الأخبار التاريخية المتواترة، ولكن إلى أي جرش تذهب دلالة الحديث.

هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج١/ص١٥٥.

(١) الحلبي، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد، نفس المصدر السابق، ج١/ص١٩٧.

(٢) السـيد، جمال بن محمد، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة، ط١ـ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج٢/ص٦٣ ابن ماكولا، الإكمال، ج٢/ ص٢٣٦ (حواشي سفلية نقلها المحقق من حواشي الأصل).

يجب ملاحظة أن ابن قيم الجوزية من أعيان القرن الثامن، ومن ثم فهو متأخر، كما أن ما قاله لم يكن عن علم برواية أخرى للحديث، فهو يشكك في صحة الرواية، وفي نفس الوقت يشترط لصحتها حصرها بجغرافيا محددة، ما يدل على أنه لم يبن رأيه على خبر، بل على الظن، فقد اشتهر عن النبي ﷺ ذهابه في رحلة تجارة إلى الشام، واقترنت الروايات التي وردت فيما يخص علامات النبوة بالرحلة الشامية مع عمه ثم مع ميسرة، ومنها التقاؤه بالراهب بَحيرا، ثم نسطور، في بصرى الشام، لذا فقد أوقف ابن القيم الخبر - عندما وجده - على ما هو مشهور من سفره إلى الشام، رغم أن جرش الشام لم ترد مطلقا في كتب السيرة، في خبر سفر النبي ﷺ للشام، كما أن هنالك الكثير من الدراسات النقدية التي شككت في حقيقة الأخبار المحورية في رحلة الشام[(١)]، والحديث عموما ورد في الأصل برسم جُرَش اليمانية كما جاء معنا، وهكذا فهمه معظم من نقله عن الحاكم. وقد يصح سفر النبي (ﷺ) إلى جرش الشام أو جرش اليمن، إلا أن الحديث هنا لو صرفناه إلى جرش الشام فإنه يتناقض تماما مع خبر آخر كما ألمح الحلبي، فقد جاء أن أبا طالب قد فاوض خديجة رضي الله عنها باستئجار محمد ﷺ في تجارتها إلى الشام مقابل أربع بكرات وقبلت خديجة ورحبت[(٢)]، بينما هي هنا استأجرته إلى جرش مقابل قلوص واحد لكل رحلة، فلا تصح الروايتان لموقع واحد، ولكنها تصح لموقعين، فهذا يتناسب مع فارق المسافة، ومن ثم فإن ما نقل عن الحاكم - المصدر الأساسي للرواية - الذي وضع رسم جُرَش اليمانية، وهو ما فهمه معظم الرواة الذين نقلوا عنه، ومنهم الحلبي الذي أوردنا نصه، هو الأقرب للصحة. هذا عندما نستقرؤه من داخل النصوص الحديثية ذاتها.

٢ـ هنالك رواية أخرى لخبر آخر، لم يتم الفصل فيما إذا كانت تخص جرش هذه أم تلك، وهو ما أورده ابن أبي أسامة البغدادي عن حضور تاجر نصراني من اهل جرش إلى الرسول(ﷺ)، قال: "حدثنا داود، ثنا عبّاد عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قدم رجل نصراني من أهل جُرَش[(٣)]. تاجر، فكان له

---

(١) ابن سيد الناس اليعمري، الحافظ أبي الفتح محمد ابن محمد ابن محمد، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، حققه وخرج أحاديثه محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، مكتبة دار التراث ـ المدينة المنورة، ودار ابن كثير - دمشق، ج١/ص١٠٨ .

(٢) انظر: أبو البقاء، كمال الدين الشافعي، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري (المتوفى: ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ـ ١٤٢٤هـ،ج٢/ص٣٥٠. الفاسي المكي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (المتوفى: ٨٣٢ هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ـ ١٩٩٨م، ج١/ص٣٧٢ .

(٣) هكذا وردت مضبوطة بضم الجيم وفتح الراء المصدر وعلق محقق كتاب (الزيادات على الموضوعات...) للسيوطي، بقوله: (كذا ضبطه في الأصل و (د). وجُرَش - بضم الجيم وفتح الراء - مدينة باليمن). انظر: ج١/ص٥٧ .

بيان ووقار، فقيل يا رسول اللّه، ما أعقل هذا النصراني!، فزجر القائل، وقال: "مه، إنّ العاقل من عمل بطاعة اللّه تبارك وتعالى"(١). لا شك أن للحديث دلالات تاريخية هامَة ونحـن معنيون بتجلية دلالاته(٢)، خاصـة ما يخص الصـلة التجارية بـين جرش ومكة، ومدى حضـور تجار جرش في المواقع الأخرى على طريق التجارة التاريخي الواصـل من الشمال إلى الجنوب والعكس، وحول وجود النصارى في جرش واشتهار ذلك.

من المعلوم أن الشام كان بها ثقل الوجود النصراني في المنطقة العربية، وكانت من المراكز الرئيسـية للكنيسـة قبل الإسلام، فقد كان الغساسـنة والنبط والسريان عموما على النصـرانية، وكانت الكنيسة السـريانية تمثل ثقلا للنصرانية هناك، لذا فالدلالة الأوليـة لهذا الحديث ربما تكون أكثر رجاحة إلى جرش الشـام، خاصـة وانه كانت بها أسـقفية عرفت إلى عام (٤٥١هـ/١٠٥٩م)،ولكن النصارى أيضا كانوا في نجران، كما كان هنالـك نصـارى بجرش، يدل علـى ذلك ما ورد عن أن النبي(ﷺ)، عند إسـلام أهل جرش: "وضـع علـى كل حالم من أهل الكتـاب في جُرَشْ دينارا وألزمهم بضـيافة المسلمين"(٣). والنص علي العموم ضبط بالضم في المصادر التي نقلت عنه، فقد ضبطه السيوطي بالضم "جُرَش"، وقال المحقق: "كذا ضبطه في الأصل و (د). وجُرَش ـ بضم الجيم وفتح الراء - مدينة باليمن."(٤). ويبقى هنالك حاجة للتأكد من الدلالة في كل ما ذكرنا للوصول لحقيقة واضحة حول المدينتين.

رابعاً: جُرَشْ أم جَرَشْ:

للتحقـق من صـحة دلالة الروايـات إلى أي هـاتين المدينتين من خارج النصـوص

---

(١) ابـن أبي أسـامة، أبو محمد الحـارث بن محمد بن داهـر التميمي البغدادي الخصـيب، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسـلامية بالتعـاون مع مركز الملـك فهد لطباعة المصـحف الشـريف - المدينة المنـورة، ط١ ـ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج٢/ص٨١١ (ح٨٣٦).

(٢) ((وقد ورد الحديث بنفس النص في مصـادر أخرى منها: ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، حقق ضمن ١٧ رسالة علمية بتنسيق د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، الطبعة الأولى ـ ١٤١٩ه، ج١٣/ص٧١٨. كما أورده السـيوطي، جـلال الدين عبـد الرحمن بن أبي بكـر (المتوفى:٩١١ هـ)، الزيادات على الموضـوعات، ويسـمى "ذيل اللآلئ المصـنوعة"، تحقيق رامز خالد حاج حسن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ج١/ص٥٧.

(٣) عـز الديـن ابن الأثير، أبو الحسـن علي بـن أبي الكرم محمد بن محمـد بن عبد الكريم بـن عبد الواحد الشيباني الجزري، أسد الغابة، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ج٢/ص٢٤٧.

(٤) السـيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)، الزيادات على الموضوعات ويسمى "ذيل اللآلئ المصـنوعة"، تحقيق رامز خالد حاج حسـن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض، ط١. ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ج١/ص٥٧.

الحديثية، فعلينا أولاً أن نعرف واقع كل منهما في مرحلة هذه الروايات، وقد تحدثنا عن جرش السراة بما يكفي لشرح واقعها الحضاري والتجاري والأهمية التجارية التي كانت تمثلها في عملية الإنتاج والتبادل التجاري في المنطقة العربية، واعتماد مناطق كثيرة على إنتاجها الزراعي والصناعي والتجاري في مرحلة ما قبل الإسلام وفي القرنين الأول والثاني للهجرة، ودرجة اهتمام المعاجم وكتب الأخبار بها، وكثرة الروايات عنها، وعن أخبارها لدرجة تداخل هذه الروايات مع بعضها، ومبالغاتها أحيانا لدرجة التسطير، ولكن ماذا عن جَرَش الأردن؟

وجَرَش مدينة أردنية جميلة تقع إلى الشمال من مدينة عمان والجنوب الشرقي من مدينة أربد، بها ـ كما بعدد من مدن الشام ـ آثار رومانية بديعة وتعرف قديما باسم "جيراسا". هذه المدينة (جيراسا) أنشأت في عهد الاسكندر (٣٥٦-٣٢٣ ق.م) الذي أطلق عليها اسمها باليونانية (Gerasa) مشتقا اسمها من "المحاربين" الذين غرسهم الاسكندر هنالك[(١)]. وقد وجد بها نقش من العصر الروماني يوحي بأنه كان بين سكان المدينة عنصر مقدوني، ونقش آخر يوحي بأن المدينة كانت تَعُدُّ "بردقاس" (أحد قادة الاسكندر) مؤسساً لها[(٢)]. ويذكر جونز أن في جرش قطعة نقد امبراطوري يمجد فيها الإسكندر وينسب إليه تأسيس المدينة[(٣)]. ولكنها اشتهرت في العصر الروماني بصفتها واحدة من مجموعة مدن تحالفت لتحقيق أهداف أمنية تتعلق بمواجهة الأنباط الواقعين على حدود هذه المدن[(٤)]، وبحماية الطرق التجارية المارة بهذه المدن والمتجهة إلى جنوب الجزيرة العربية في القرن الميلادي الأول، فأنشؤوا حلف المدن العشر (الديكابولس)، الذي أقامه الإمبراطور بومبيوس[(٥)]. (ق١ ق.م)، وقد بنيت هذه المدن على أساس دفاعي بحيث كانت مسورة بأسوار منيعة ضد الغزاة[(٦)]، وكان اسم المدينة عند الرومان "جراسا" أو "جيراسا"، وقد مد تيودور حاكم "فيلادلفيا" (عمَّان) نفوذه عليها في

(١) يذكر جونز أنه نقل هذه المعلومة بالذات من حاشية على تعليق الفيلسوف أبامبليخوس (٢٥٠-حوالي ٣٢٥) على نيقوماس الجرشي؛ انظر: جونز، أ.هـ.م.، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع ـ عمَّان، ط١ ـ ١٩٨٧م، ص٢٨.

(٢) جونز، نفس المصدر والصفحة، ص٢٨.

(٣) جونز، نفس المصدر والصفحة، ص٢٨.

(٤) انظر: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٥/ص٦٥. أبو الخير، خالد، "تعددت الأسماء والمدينة واحدة ـ إربد عبر التاريخ: إقحوانة نمت في ظل الحضارات"، صحيفة السجل، شركة مدى للصحافة والنشر، ٢ابريل ٢٠٠٩م، العدد ٧٠.

(٥) أبو الخير، خالد، "تعددت الأسماء والمدينة واحدة ـ إربد عبر التاريخ: إقحوانة نمت في ظل الحضارات"، صحيفة السجل، شركة مدى للصحافة والنشر، ٢ابريل ٢٠٠٩م، العدد ٧٠.

(٦) جونز، أ.هـ.م.، المصدر السابق، ص٢٩.

القـرن الأول واقتطعها منه "الكسـندر ينايوس" ولكنه لم يحتفـظ بها[١]. ويذكر جونز أن اسـم جرش في النقوش ذات التأريخ الروماني هـو "انطاكية على خريسـوراس" (Chrysoras) (سيل جرش) من قبل جرش[٢]، ويبدو أن ذلك خاص بالنقود والنقوش الخاصة، إذ ظلت ترد في المصادر باسم "جيراسا"[٣].

لكنهـا لم تكن مدينة حاضـرة معروفـة قبل بناء الاسـكندر ثم بومبيوس لها كما يبـدو إذ لم يرد الاسـم "جراسـا" (جيراسـا) عنـد هيرودوتس" (٤٨٤-٤٢٣ ق م)، ولا "ثيوفراسـتوس" (٣٧٢- ؟؟؟ ق م)، ولا عنـد أجاثارخيديس الكنيـدي ولـد عـام (٢٠٠ق.م)، أو عاش خـلال القرن الثـاني للميلاد)، ولا عند صـاحب كتاب "الطواف حـول البحر الأرتـيري" ولا عند "ديودوروس الصـقلي" (ت٣٥ق م)، ولا "سـترابون" (ت ٢٤م)، ولكن ورد ذكر اسـمها اليوناني "جيراسـا" (Gerasa) في بعض المصـادر المعاصـرة لمرحلة بروزهـا في القرن الأول والثـاني ثم إلى الخامس. ومـن هؤلاء الذين ذكـروا "جرش" بلينيوس (٢٤ـ توفي مـا بعد عام ٧٩م) الذي أشـار للمدن العشـر (ديكابوليس)، وتحدث عـن كل واحدة على حدة، وذكر من بينها جالاسـا (Galasa) دون أي تفاصـيل عنهـا[٤]، والراجح أنه يقصـد (Gerasa) والتي هـي "جرش"[٥]، إذ أنها واحدة من حلف المدن العشر (ديكابوليس). كما وردت لدى "يوسيفوس فلافيوس" (٣٧-١٠٠م) بصـفتها واحدة من ثلاث مقاطعات متجاورة كانت تؤلف الحد الشـرقي من بيرايا، وهي "فيلادلفيا" (عمَّان)، و"جيراسا" (جرش)، و"بلا"[٦].

ولم أجـد لـدى بلوتارخوس (٤٦- ما بعد عام ١٢٠م) ـ الذي عاصـر فترة ازدهارها كواحدة من مدن (الديكابوليس) ـ ذكراً لها (حسب النسخة المترجمة)، رغم أنه أشار بشكل مختصر لحملة الاسكندر على بلاد العرب ولحملة بومبيوس على بلاد العرب الأنباط، وذكر بعض المدن الشامية القريبة منها نسبياً مثل دمشق، وصور، وصيدا، والقدس، والبتراء[٧].

---

(١) جونز، مدن بلاد الشام، ص٥٩ .

(٢) جونز، بلاد الشام، ص٥٢ .

(٣) انظر كمثال: المصادر الرومانية القادمة ومنهم، بلينيوس (٢٤-٧٩م تقريبا)، أميانوس ماركيللينوس (٣٢٥-٣٩٥م تقريبا) .

(٤) بلينيوس، بلينيوس والجزيرة العربية، إشراف وتحرير د. عبدالله عبدالرحمن العبد الجبار، ترجمة د. علي عبدالحميد، تعليق د. زياد السلامين، دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، ص٦٠-٦٢ .

(٥) وهكذا كان رأي المحقق أيضاً انظر: هـ ص ٦٢ .

(٦) نفس المصدر، ص٦٦ .

(٧) هذا حسـب المختصـر المترجم من دارة الملك عبدالعزيز والخاص بما يخص العرب لدى تارخوس؛ انظر: بلـو تارخوس، بلوتارخوس والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، اشـراف وتحرير د. عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، ترجمة، د. رضا عبدالجواد، تعليق د. زياد التلامين، (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) .

كما ذكرها بطليموس[١]. (١٠٠-١٧٥م) ضمن عشرات الأسماء الواقعة في إقليم سوريا[٢]، وأعاد ذكرها في بلاد العرب الحجرية "ارابيا بترايا" (Arabia Petraia/ Arabia Petraea).[٣] أما كاسيوس ديو كاسيوس (١٥٥-٢٣٠م) فلم أجد لها ذكراً لديه، مع أنه أسهب في ذكر أخبار العرب وبحارهم وأنهارهم، وتطرق للكثير من مدنهم وبلدانهم، وأشار للعديد من المدن والمواقع بعضها قريب من جرش الشام، مثل الأردن، والأنباط، والقدس، والبتراء، وحمص، وصور، وصيدا، وفلسطين[٤].

بينما أشار جونز إلى أنه ورد في رواية جورجيوس (٢٨٠-٣٠٣م)، أن المدن العشر بقيت على حالها دون تغير، وفي القائمة ذكر لبيسان وفحل وجدر وهبوس وجرش وفيلادلفيا وديوموأبيلا وكابتولياس"[٥]. أما أميانوس ماركيللينوس (ولد تقريبا مابين ٣٢٥م إلى ٣٣٠م). توفي بعد عام ٣٩٥م) فقد ذكر جرش في معرض حديثه عن مدن سورية، ووصف "جيراسا" (جرش) وصفا تاريخيا. كما جاء في الترجمة. عندما قال: "وبعد أن أخضع بومبيوس اليهود واستولى على أورشليم/ القدس ضم هذه المناطق إلى ولاية رومانية تابعة إلى سلطة حاكم الولاية. وعلى تخوم فلسطين بلاد العرب التي يحدها من الجانب الآخر الأنباط، وهي أرض غنية ببضائعها المتنوعة، ومزودة بحصون وقلاع قوية، حرصت الشعوب القديمة بشدة على إقامتها عبر ممرات جبلية ضيقة لتكون مناسبة لصد هجمات الشعوب المجاورة. وتمتلك هذه المنطقة أيضا، إضافة لبعض المدن، مدنا عظيمة مثل بصرى (Bostra)، جرش (Geresa) وفيلادلفيا (Philadelphia) المنيعة بسبب أسوارها القوية. وقد منحها الإمبراطور تراجانوس لقب الولاية. وبعد أن عين حاكما عليها أجبرها على الإذعان لقوانيننا، وبعد انتصارات متلاحقة أذل كبرياء سكانها عندما كان يشن حربا مجيدة على ميديا (Media) والبارثيين (Parthians)"[٦].

---

(١) بطليموس، بطليموس كلاوديوس (١٠٠. ما بعد ١٧٥م)، بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، ترجمة السيد جاد، إشراف وتحرير وتعليق د. عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، من إصدارات دارة الملك عبد العزيز، ب ت ن، ص٦٦، ٨٧ .

(٢) بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، ص٦٦ .

(٣) بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، ص ٨٧ .

(٤) هذا حسب المختصر المترجم من دارة الملك عبدالعزيز والخاص بما يخص العرب لدى ديوكاسيوس، انظر: ديوكاسيوس، ديوكاسيوس والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز. الرياض، اشراف وتحرير د. عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، ترجمة، د. مجدي الكيلاني، تعليق د. جيهان شاه بهاي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، نفس المصدر ص٦٦ .

(٥) جونز، المصدر السابق، ص١٠٠ .

(٦) ماركيللينيوس، أمانيوس، أمارنيوس ماركللينيوس والجزيرة العربية، اشراف وتحرير د. عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، ترجمة د. فايز يوسف، تعليق د. نورة بنت عبدالله النعيم، دارة الملك عبدالعزيز . الرياض، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، ص٥٠ .

ونلاحـظ أن الوصـف هنــا كان تاريخيــاً فقد أشــار بعد أن وصـفها فـوراً إلى دور تراجانوس (٥٣-١١٧م)، وذلك لا ينفي احتمالية دلالة حديثه على أنها كانت موجودة، إذ أنه كان يصف المواقع ذاتها، ولعل إشارته إلى وضعها الدفاعي القوي يوحي بأن هذه المدن كانت قد عُمِّرَت كمواقع حاميات وليسـت مدنا أصـلية، وهو ما أشـار له جونز[١]. وآخر ذكر وجدناه لها كان من خلال مصـدر حديث، حيث أوردها اسـمها الدكتور أسد رستم في سـرده لأعمال المجمع المسكوني الرابع سـنة (٤٥١م)، عندما حضرت الوفود ومنها الوفد الانطاكي المؤلف من (١٣٠) أسـقفاً من (١١) منطقة تمثل سورية الأولى، وسـورية الثانية، وآشـورية، وفينيقيا الأولى، وفينيقيا الثانية، والفرات، والرها، ومابين النهريـن، والعربية، وفينيقية الأولى (السـاحلية)، وفينيقيـة الثانية (اللبنانية). وكان عدد وفد أسـاقفة المنطقة العربية (١٨) أسـقفا (من كل مدينة أسقف)، أولهم أسقف بصرى ثم درعة...، وجاء أسقف جرش عاشراً واسمه (بلانكوس)[٢].

إلا أن "جرش" مجهولة نسـبياً في المصـادر التاريخية التي بـين أيدينا منذ أواخر القـرن الخامسـ الميـلادي، فلم نجد أن الاسـم جرش كان حاضـرا للدلالـة على هذه المدينـة في التاريـخ العربي، ولا في السـرياني في مرحلة ما قبل الإسـلام، ولا في صـدر الإسلام، فمخطوط يوشع العمودي الذي أورد أحداث القرن الخامس حتى بداية القرن السادس، ورد لديه أسماء مدن من الشام - التي كان يطلق عليها سورية - حيث استشهد بها في قصصـه وروى احداثها أو أشار لبعض من ينتمون لها مثل: دمشق[٣]. وانطاكية، ومنبـج[٤]، والقدسـ[٥]، وبيروت[٦]،وصـيدا[٧]، والجليـل[٨]، والغوطـة[٩]، وعـكا[١٠]،

(١) جونز، أ.هـ.م.، المصدر السابق، ص٢٩ .

(٢) رستم، د. أسد، كنيسة مدينة أنطاكية العظمى، منشورات المكتبة البولسية - بيروت، ١٩٨٨م،ج١/ص٣٣٧-٣٣٨ .

(٣) نفس المصدر، ص٢٨٥ .

(٤) نفس المصدر، ص٢٨٨ .

(٥) نفس المصدر، ص٢٥٦ .

(٦) نفس المصدر، ص٢٥٦ .

(٧) نفس المصدر، ص٢٥٦ .

(٨) نفس المصدر، ص٢٧٧ .

(٩) نفس المصدر، ص٢٨٨ .

(١٠) نفس المصدر، ص٢٥٦ .

وصـور[١]، وأفاميا[٢]، وملطيـة[٣]، وبيكوميديا[٤]، بيت برسـا[٥]، والرقـة[٦]، كما أورد أخبار من أسـماهم عرب الفرس، وعرب الروم، والحـيرة[٧]، ناهيك عن مدن ما بين النهريـن. والتي كانت مرتكز رواياته. حيث الرهـا (مدينته)، وآمد، ودارا، وعمودين، ونصـيبين[٨]، ورأس العين، وتلا، وحران، وآجل، وصـوف، وغيرهـا، وقد وردت مدينة اسـمها "جرياس"[٩]، والاسـم قريب من الاسـم الروماني. حينها. لجرش: "جراسا"، ولكنها في مقاطعة منبج[١٠]، ولا شـك أنه لو كانت هنالك مدينة تجارية مشهورة اسمها "جرش" بالأردن يشـدُّ لها الرحال لكانت أولى بالورود في استشهاداته، ولعل هذا يرينا وضع المدينة خلال نهاية القرن الخامس.

كما أن كتاب تاريخ الكنيسة ليوحنا الآسيوي[١١] الذي تتبع أخبار الرومان، واحتدام صـراعات الكنيسة الشـرقية والغربية، وحروب المناذرة والغساسـنة، وأورد بعض مدن الشـام وما حولها مثل بصرى، وحمص، والرها، وآمد، ودمشق، والحيرة، وغيرها، ولم يوردهـا، وإن تكن النسـخة الموجودة غير مكتملة، إلا أنها تمثل مرحلة ما قبل الإسـلام اذ أنهـا تغطـي أحداث فترة الدولـة البيزنطيـة في المنطقة حتى عـام (٥٨٥م)، وهي مرحلة قريبة من مرحلة ظهور الإسلام في بدايات القرن الذي يليه، والذي بدأ حضوره السياسـي بالهجرة النبوية عام (٦٢٢م). والأهم من كل ذلك أن الفتوحات الإسـلامية في الشـام عـام (١٣ــ ١٥) هجرية، ثم طـواف عمر بن الخطاب بمدن الشـام، والتي

---

(١) نفس المصدر، ص٢٥٦ .
(٢) نفس المصدر، ص٢٨٥ .
(٣) نفس المصدر، ص٢٦٠ .
(٤) نفس المصدر، ص٢٥٦ .
(٥) نفس المصدر، ص٢٨٨ .
(٦) نفس المصدر، ص٢٨٥ .
(٧) نفس المصدر، ص٢٦٠ .
(٨) نفس المصدر، ص٢٦٤ .
(٩) نفس المصدر، ص٢٨٨ .
(١٠) نفس المصدر، ص٢٨٨ .
(١١) الآسـيوي، يوحنـا، تاريخ الكنيسـة، ترجمه من السـريانية وعلـق عليه، صـالح عبدالعزيز محجوب ادريس، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠، مع ملاحظة أن الكتاب المطبوع يشـمل الأجزاء الثالث والخامس والسـادس من الكتـاب الثالث، حيث هذا هو المتوفر من المخطوط بشـكل جيد، إذ الأول مفقود والثاني يوجد أجزاء منه، ويغطي الكتاب المطبوع الفترة من ٥٧٢م إلى عام ٥٨٥م وهو سنة وفاة المؤلف .

نقلهـا الطبري[١] وابـن الأثير[٢] وابن كثير[٣]. وغيرهم عن عدد كبـير من الرواة الذين حضـروها، لم يرد في سـرد أحداثها على ألسـنة الرواة اسـم جرش مطلقـا، فقد ورد خبر أكثر من خمسـين مدينة شـامية في فتح الشـام عند ابن كثير(٤) وعند الطبري[٥] وعند ابن الأثير[٦]، ولم تذكر بينها جرش، مع أن الجيوش عسكرت جوارها قبل معركة اليرمـوك، وحدثت معركـة اليرمـوك بجوارها، فقـد وردت في الأخبار أحـداث دخول المدن المجاورة لجرش والحروب التي جرت فيها، فروي فتح بصـرى، وبيسان، وطبرية، والبلقـاء، والرملة، والجابية، وجريـن، وفحل، وغيرها، وكلها محيطة بجرش من جميع الجهـات، وقد تنقل جيش المسـلمين من جنوبها لشـمالها ومن شـرقها لغربها والعكس فسـار من العربة إلى اليرموك ومن دمشـق إلى فحل، بل إن بعضـها مثـل البلقاء تبعد عنها - بالخط المسـتقيم - أقل من (٣٠) كم جنوبا، وفحل تبعد حوالي (٣١) كم للغرب، وبصرى حوالي(٦٠) كم في الشرق، بينما معركة اليرموك وقعت شمالها بحوالي (٥٠) كم، وقد ذكر الرواة أسـماء المدن والقرى في المحيط، وما جرى بها من أحداث، لدرجة أنه يمكنك رسـم خريطة بناء على تتبع الاخبـار دون الوقوف على المواقع، بينما لم ترد جرشٍ لا في حروب الفتوحـات ولا بالمرور حولها، ولم يرد طريقـة فتحها لا بالحرب ولا صـلحا على ألسـنة الرواة، وهو ما يدل على أنها لم تكن - في تلك المرحلة - شيئاً يذكر، أو أنه كان لها اسم آخر.

أمـا البلاذري (ت٢٧٩هـ) في فتوح البلدان فقد ذكر فتوحات البلدان دون اسـناد متسلسـل عن الرواة، فكان ينقل أحيانا بقوله: " قَالُوا: لما أتى خَالد بن الوليد كتاب أَبي بكـر وهو بالحيرة.. "[٧]، و: "قالـوا: وكانت وقعة فحل مـن الأردنَ لليلتين بقيتا من ذَي القعـدة"[٨]، وقد نقل أخبـار الفتوحات، إلى أن أورد تحت عنـوان "أمر الأردن" أخبار فتوحـات الأردن، إلى أن قـال: " ففتح شـرحبيل بن حسـنة طبرية صـلحا بعد حصـار أيام.... "، واسترسـل إلى أن قال: "ثم أنهم نقضـوا في خلافـة عُمَر واجتمع اليهم قوم

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣/ص٦٠٧-٦١٣ .

(٢) ابـن الأثـير، عـز الدين أبو الحسـن بـن عبدالكريم الجـزري الشـيباني، الكامـل في التاريـخ، اعتنى به محمد العرب، المكتبة العصريةبيروت، ص٤٦٠ .

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/ ٢٨١-٢٨٥ .

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥/ص٢٣١-٢٤٤، ٢٤٦-٢٥٢، ٢٧٨-٢٨١ .

(٥) ابـن جرير الطبري، أبـو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضـل إبراهيم، دائرة المعارف - القاهرة، ط٢ – ١٩٦٨م، ج٣/ ص٣٩١ – ٤١١ .

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج١/ص٤٠٠-٤١٠، ٤٦٠، ٤٦١ .

(٧) البلاذري، المصدر السابق، ص١٥٥ .

(٨) البلاذري، ص١٥٨ .

من الروم وغيرهم، فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاصي بغزوهم فسار اليهم في أربعة آلاف ففتحها عَلَى مثل صلح شرحبيل، ويقال: بل فتحها شرحبيل ثانية، وفتح شرحبيل جميع مدن الأردن وحصونها عَلَى هَذَا الصلح فتحا يسيرا بغير قتال ففتح بيسان، وفتح سوسية، وفتح أفيق، وجرش، وبيت رأس. وقدس والجولان، وغلب عَلَى سواد الأردن وجميع أرضها." [١].

ومن خلال طريقة نقل البلاذري المنقطع، فإنه لم يكن ذو دلالة على مرحلة الأحداث، بل على مفاهيم عصره، ونلاحظ أن البلاذري هنا قد ذكر جرش في سياق تعداده لبلاد الاردن التي فتحها شرحبيل، ولكنه أوردها ضمن كلام مرسل بلا سرد للحدث، وكأنه كان يعدد بلاد الأردن التي يفترض أنها فتحت على يد شرحبيل بن حسنة الذي فتح الأردن، ولم يعنعن في روايته للفتوحات كحال الطبري وابن الأثير وابن كثير. وقد نقل قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) نص البلاذري حرفيا في كتاب "الخراج وصنعة الكتابة"[٢]، مما يجعله صورة منه لا يحمل قيمة جديدة.

وأكثر من ذلك أن جرش "الشام" لم ترد في المعاجم العربية المبكرة، والتي كان مؤلفوها في جهات بلاد الشام والعراق، فهذا كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي والذي يمثل واحدا من أقدم المؤلفات المعجمية العربية، بل إنه أقدم ما بين أيدينا منها، والذي أشار في التعريف حول رسم (ج ر ش) إلى جُرَش اليمانية والى إبلها الحمراء وعنبها البالغ الجيد[٣] كما أورد في كتابه بعض الشعر الذي ذكرها[٤]، بينما لم يورد جرش الشامية ولم يورد عنها أي شيء، وكأنه لم يسمع بها، بينما هو في البصرة غير بعيد عنها، كما أنه عاصر الدولة الأموية والتي كان مقر عاصمتها غير بعيد عن جرش. ولكن "جَرَش" الأردن، أصبحت اكثر ذكرا في المرحلة اللاحقة، يقول المقدسي البشاري الذي ولد في القدس ونشأ فيها (على مقربة من جرش الأردن)، وعمل في التجارة والرحلات، في كتابه "أحسن التقاسيم..." الذي ألفه عام (٣٧٥هـ)[٥]"جرش مدينة باليمن وجبل جرش بالأردنّ"[٦]. ثم يقول في موضع آخر: "أذرعات مدينة قريبة

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ص١٦٠ .

(٢) البغدادي، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (المتوفى: ٣٣٧هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر ـ بغداد، ط١ ـ ١٩٨١م، ص٢٩٠ .

(٣) الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٦/ص٣٥ .

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٢/ص٣٠٩ .

(٥) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١ ـ ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، المقدمة ص٢١ .

(٦) المقدسي البشاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الناشر: ليدن، ودار

مـن البادية، رسـتاقها جبل جرش يقابل جبل عاملة كثير القـرى، وجلّت طبريّة بهذين الجبلين"[١]. علما بأنه قد أسـهب في وصـف "جُرَش" اليمانية، وصـناعاتها وتجارتها ومزارعها (كما مر معنا). ولعل ما نفهمه منه هنا أن جرش الشـامية اشـتهرت في تلك المرحلـة (القرن الرابع) كاسـم جبل بالأردن تنتشـر فوقه القرى، يتبـع لمدينة أذرعات ومن ثم لطبرية، أي أن المدينة لم تكن حاضرة لدرجة أن يعرِّفها الجغرافيون كمدينة.

أمـا الفارابـي (ت٣٥٠) فقـال في :معجم ديـوان الأدب في التعريـف بما وقع تحت الرسم (جرش): "جُرَشُ: اسم موضع باليمن"[٢]، ولم يأت على ذكر جرش الشام. بل إن البكـري في القرن الخامس لم يعطها تعريفا في معجمه البلداني عند تعريفه بما ورد في رسـم "جرش"، بل اتجه إلى التعريف المسـهب عن جُرَش اليمانية فقط، وكأنه أيضا لم يسـمع بجرش الشـامية في الأردن[٣]. ولعل أفضـل من تحدث عن "جَرَش" الشامية بإسهاب كان ياقوت في القرن السابع، فبعد أن أسهب في التعريف عن "جُرَش" اليمانية، اتجـه للتعريف بجرش الشـامية، فقـال: " جَرَشُ: بالتحريك: وهو اسـم مدينة عظيمة كانت، وهي الآن خراب، حدثني من شاهدها وذكر لي أنها خراب، وبها آبار عاديّة تدل علـى عظم، قال: وفي وسـطها نهر جار يدير عدة رحى عامـرة إلى هذه الغاية، وهي في شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وحوران من عمل دمشق، وهي في جبل يشتمل على ضـياع وقـرى يقال للجميع جبل جرش اسـم رجل وهو جرش بن عبـد الله ابن عليم بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، ويخالط هذا الجبل جبل عوف، وإليه ينسـب حمى جرش، وهو من فتوح شـرحبيل بن حسنة في أيام عمر، رضـي الله عنه، وإلى هذا الموضع قصد أبو الطيب المتنبي أبا الحسـن عليّ بن أحمد المرّي الخراسـاني ممتدحا وقال تليد الضـبي وكان قد أخذ في أيام عمر ابن عبد العزيز على اللصوصية فقال:

قضـاعيّة حـمّ الـذّرى، فتربعت ... حمى جرش قد طار عنها لبودها [٤]

مـن الواضـح أن ياقوت – الدمشـقي الشـامي – يشـير هنا إلى المدينـة التاريخية

صادر، بيروت، ومكتبة مدبولي القاهرة، ط٣ ـ ١٤١١/١٩٩١، ص٢٧ .

(١) نفس المصدر، ص١٦٢ .

(٢) الفارابي أبو إبراهيم إسـحاق بن إبراهيم بن الحسـين، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، معجم ديوان الأدب، تحقيق د. أحمد مختار عمر، راجعه د. إبراهيم أنيس، مؤسسـة دار الشـعب للصـحافة والطباعة والنشـر ـ القاهرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ج١/ص٢٥٤ .

(٣) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسـي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، معجم ما اسـتعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب ــ بيروت، ط٣ ـ ١٤٠٣هـ، ج٢/ص٣٧٦ .

(٤) الحمـوي، شـهاب الديـن أبو عبد الله ياقوت بن عبـد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هــ)، معجم البلدان، دار صادر ـ بيروت، ط٢ ـ ١٩٩٥م، ج٢/ص١٢٦ـ١٢٧ .

العظيمة "جيراسا"، والتي بقيت آثارها دالة عليها وعلى عظمتها، ولكن حديثه عنها يسير بنا إلى أنها كانت مهجورة في عصره، عندما يقول "وهي الآن خراب".

ومن ذلك، فلا يبدو أنه كان بها مدينة عامرة في عصر معهود، وإلا لذكر ذلك، فهو أشار فقط لآثارها من السواقي الرحوية الكبيرة، ثم قال "وهي في جبل يشتمل على ضياع وقرى يقال للجميع جبل جرش"، ثم ذهب إلى ربط المسمى "جرش" بجرش بن عبدالله بن عليم من قضاعة، ثم تحدث عن حمى جرش الذي يذكر انها اشتهرت به، وأورد قصيدة للمتنبي دالة على هذا الحمى. أما في لسان العرب فقال "ابن منظور" عن الرسم "جَرَش": " وجُرَش: موضع باليمن، ومنه أديم جرشي. وفي الحديث ذكر جرش، بضم الجيم وفتح الرّاء، مخلاف من مخاليف اليمن، وهو بفتحهما بلد بالشأم، ولهما ذكر في الحديث. وجرشية: بئر معروفة، قال بشر بن أبي خازم:

تحدر ماء البئر عن جرشية　　　على جربة تعلو الدبار غروبها[1]

حدثنا ابن منظور عن الأديم الجُرَشيّ، وأورد شعرا قيل في جُرَش اليمانية، ولكنه لم يفدنا بأي شيء عن جرش الشامية، سوى أنه ختم بكلام مضطرب عندما قال: "وفي الحديث ذكر جرش، بضم الجيم وفتح الرّاء، مخلاف من مخاليف اليمن، وهو بفتحهما بلد بالشأم"، ثم أعقب بقوله: "ولهما ذكر في الحديث". وهو يظل أيضا كلام مرسل. أما "جواد علي" الذي أسهب في تتبع المصادر العربية والكلاسيكية والدراسات الحديثة والنقوش، فقد أفرد بابا للمدن الشامية القديمة، فوصف المدن الشامية القديمة بالتفصيل، وسرد تاريخها وأسهب في ذلك، وقال عن جرش: "و"Gerasa" هي "جرش" في الزمن الحاضر، ونسبها "ياقوت الحموي" إلى رجل زعم أن اسمه هو "جرش ابن عبد الله بن عليم بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة". وتقع عند الحافة الجنوبية الشرقية لسلسلة "عجلون"، ولا يعرف أصلها ومبدأ تأريخها على وجه التحقيق. ولم يرد اسمها في التوراة. وقد أشير إليها في كتب "الحديث""[2]، ويظن بعض الباحثين أنها "راموت جلعاد" "Ramoth-Gilead" المذكورة في العهد العتيق. ويظهر أنها من المدن التي عرفت بعد عهد "إسكندر الكبير"، وقد استولى عليها "إسكندر ينيوس" "إسكندر جنيوس" ملك "يهوذا"، ثم تحررت من اليهود في عهد "بومبيوس"، وألحقت بكورة "سورية الرومانية"، ثم أضافها "تراجان" في عام "١٠٦" بعد الميلاد إلى "الكورة العربية"، وضمت بعد ذلك إلى كورة "فلسطين الثانية" "Palestina Secunda" أي الأردن.

(١) ابن منظور، المرجع السابق، ج٦/ص٢٧٢ـ٢٧٣ .

(٢) وأشار في الهامش إلى ما ورد في اللسان مما ذكرنا أعلاه .

وكانت "جرش" مركزًا لعبادة الإله "ارتيمس" "Artemis"، وهو "ديانا" "Diana" عند الرومان، وابنة "زيوس" "Zeus"، و"ليتو" "ليطو" "Leto" عند الإغريق، كما كانت أسقفية معروفة قبل الإسلام، وتشاهد آثار كنائس ومباني رومانية وبيزنطية ونبطية لا تزال باقية حتى اليوم"[١]. والملاحظ في كل المعنيين بالإشارة لجرش، أنهم إما أن يكونوا قد تجاهلوها تماما، أو أنهم ذكروها بناء على معاصرتهم لفترة ازدهارها كمدينة ضمن (ديكابوليس) المدن العشر، يوسيفوس وبلينيوس، أو أنهم ذكروها عطفا على تاريخ المدن العشر بصفتها واحدة منها، وعلى ما بها من آثار دالة على وجود ذكر سابق لها بالإضافة لوجود جبل "جرش" الذي تقع ضمنه، كموقع حي تنتشر فوقه القرى، وله ذكر في هذه الحدود. ولكن لم نجد من فصل في ذكرها بين كل هؤلاء حتى من عاصروا مرحلة ازدهارها، وقد أشار جواد علي إلى أنها كانت بها أسقفية قبل الإسلام.

(*) مما سبق خرجت بالعديد من الخلاصات التي أدون أهمها في النقاط الآتية:

١- جرش الشامية مدينة أسسها الاسكندر واطلق عليها اسم "جيراسا"، وهو اسم يوناني، وظل يستخدم من قبل الرومان، ورغم أنها مدينة عربية[٢] إلا انها ظلت تحت حكم الرومان حتى دخول المسلمين، ومن ثم زوال الأثر الروماني، وليس لدينا حتى الآن ما يدل على أنها كانت تدعى قبل الإسلام "جرش".

٢- (جرش) الأردنية عرفت منذ عهد الاسكندر في (ق٤ ق.م)، ولكنها اشتهرت كواحدة من الحلف العسكري للمدن العشر (ديكابوليس) الذي انشأه بومبيوس، والتي تم اعمارها كقلاع دفاعية، وكانت أحد مقرات العبادات منذ اليونانية والرومية الرومانية الوثنية إلى الرومية البيزنطية المسيحية، واستمرت كذلك إلى ما بعد منتصف القرن الخامس، ثم توارت.

٣- لم نجد ما يدل على أنها كانت مدينة مركزية في محيطها، حتى وهي في أوج ازدهارها، إذ كانت المدن المجاورة لها مثل بصرى، وأذرعات، والكرك، والقدس، وعكا، ودمشق، وإربد، وبيروت، وصور، وصيدا، ومأدبا وغيرها من مدن جنوبي الشام المعروفة، أكثر شهرة وحضورا ونشاطا منها، حسب ما أوردنا من كثرة ذكر هذ المدن ونشاطها وندرة ذكر جرش.

٤- تبعد جرش مسافة حوالي (١٤٠٠كم) من مكة، بينما مدينة بصرى الواقعة على مقربة منها في جهة الشمال الشرقي(على بعد حوالي (٦٠كم) بالخط المستقيم)

---

(١) المفصل، ج٥/ص٦٦-٦٧ .

(٢) رستم، د. أسد، كنيسة مدينة أنطاكية العظمى، منشورات المكتبة البولسية - بيروت، ١٩٨٨م،ج١/ص٣٣٧-٣٣٨ .

كانت هي العاصمة التي وضعها تراجان [١]، وقد ظلت بصرى بالفعل أحد أهم المراكز التجارية في بلاد الشام إلى بداية الاسلام، وقد ورد في الحديث أن الرسول (ﷺ) زارها في كلتا رحلتيه للشام [٢]، ورغم ذلك لم يرد أن النبي(ﷺ) رحل إليها بشكل مخصوص، بل كان يقال رحل في التجارة إلى الشام.

٥- تجاور جرش من الجنوب مدينة فيلادلفيا (عَمَّان)، والتي تبعد عنها مسافة (٣٥كم) تقريبا، وبالتالي فهي على الطريق بينها وبين مكة، وهي أشهر منها، وتمثل مدينة مركزية بالنسبة لجرش، إذ تبعت لها في بعض المراحل، كما جاء معنا.

٦- لم يذكر يوشع العمودي في القرن الخامس ولا يوحنا الآسيوي في القرن السادس "جرش" في سردهما للأحداث في منطقة ما بين النهرين وبلاد الشام وما حولها رغم أن السرد عرج على العديد من المدن المجاورة.

٧- لم تذكر كمدينة في بداية الإسلام، إذ أهملها رواة الفتوحات الإسلامية تماماً وهم يتنقلون جوارها في الأردن وكامل الشام.

٨- لم تذكرها كتب المعاجم وكتب البلدان خلال القرنين الهجريين الاولين (السابع والثامن للميلاد)، حتى عندما تصف الرسم "ج ر ش".

٩- ندرة من نسبوا لجرش الشام، فقد عدد ابن ماكولا الذين يحملون الاسم جِرش وحرش وحرس...، فسرد أسماء أكثر من (٢٠) اسم محدث ينتمون لجُرَش اليمانية (جرش السراة)، ثم أشار لجرش بفتح الجيم وقال: هم أبناء جرش بن عليم القضاعي، ولكنه لم يذكر منهم أحداً، بل قفز ليذكر من اسمه حرشي ثم من أسمائهم حرسي وهكذا.

وخلاصة القول :

إن جرش الشامية ــ والتي أهملتها المصادر التاريخية التي بين أيدينا منذ أواخر القرن الخامس إلى القرن الثامن للميلاد. كانت محاطة بمدن كبرى لها نشاط تجاري مشهور، كما لم نجد من يذكرها كمركز تجاري فيمن تحدث عنها من المؤرخين القدماء، لذا نستبعد أن تكون معنية بأخبار "جُرَش" الواردة في الحديث النبوي، التي اختصت "جرش" بالذكر دون بقية مجاوريها، إذ جَرَش الشامية تجاورها العديد من المدن، بينها الكثير مما هو أشهر وأكبر وأنشط تجاريا، مما يجعل جرش ثانوية بينها. ومن ثم - وفي كل الحالات - فإن ذكر "جرش" خلال القرنين السادس والسابع في الجزيرة

(١) جونز، المصدر السابق، ص١١٩-١٢٠ .

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١/ص١٢٢-١٢٤ .

العربيـة، بما فيه أحاديث النبي (ﷺ)، ومنها حديث التاجر الجرشـي ذو الوقار الذي جـاء للنبـي (ﷺ)، وحديث سـفر النبي (ﷺ) في تجارة خديجة رضـي الله عنها إلى جرش مرتين، كلها ـ كما هو ظاهر لنا ـ تخص جُرَش السـراة بمنطقة عسـير، تلك التي انفردت عن محيطها بتميزها في الإنتاج الزراعي والغذائي والصناعي وبشهرتها كمركز تجاري وصـناعي. ولم يظهر لنا ما يؤيد صلة هذه الأحاديث بجَرَش الأردن، تلك المدينة العربيـة الجميلـة العريقة، والقلعـة الدفاعية المنيعة منذ القـرن الأول إلى بداية القرن الرابـع للميلاد، والمدينة المغمورة منذ القرن السـادس إلى الثامـن الميلادي، والمحاطة بمدن تجارية كبيرة ومشهورة ٠

خامساً : المصادر والمراجع :

١- ابـن الأثـير، عز الدين أبو الحسـن علي بن أبي الكرم محمـد بن محمد بن عبد الكـريم بن عبد الواحد الشـيباني الجزري، أسـد الغابة، دار الفكـر ـــ بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ٠

٢- ابـن الأثير، عـز الدين أبو الحسـن بـن عبد الكريم الجـزري الشـيباني، الكامل في التاريخ، اعتنى به محمد العرب، المكتبة العصرية ـ بيروت، ط١ ـــ ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ٠

٣- الاثيوبي الولّوي، محمد بن علي بن آدم بن موسـى، شـرح سـنن النسائي المسمى "ذخيرة العقبى في شرح المجتبى" دار المعراج الدولية للنشر، ودار آل بروم للنشر والتوزيع، ط١ ـ ١٤١٦ـ١٤٢٤هـ/١٩٩٦ـ٢٠٠٣م ٠

٤- الأثيوبي الولوي، الشـيخ محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسـى، شرح أَلْفيَّة السُّـيوطي في الحديث المسـمى "إسـعاف ذوي الوَطَر بشـرح نظم الدُّرَر في عَلَم الأثر"، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة، ط١ـ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ٠

٥- الإدريسـي، محمـد بـن محمد بـن عبد الله بـن إدريـس الحسـني الطالبي (ت ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب ـ بيروت، ط١ ـ ١٤٠٩هـ ٠

٦- ابـن أبـي أسـامة، أبو محمـد الحارث بـن محمد بن داهـر التميمـي البغدادي الخصيب، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السـنة والسـيرة النبوية بالجامعة الإسلامية بالتعاون مع مركـز الملك فهد لطباعة المصـحف الشـريف – المدينة المنـورة، ط١ ـ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ٠

٧- الأسـد، ناصـر الدين، مصـادر الشـعر الجاهلي، دار المعـارف ـ القاهرة، ط٧ ـ

١٩٨٨م ٠

٨- الإسكندري، أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن (ت٥٦١هـ) ، الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها الواردة المذكورة في الأخبار والأشعار، أعده للنشر حمد الجاسر ٠

٩- الآسيوي، يوحنا، تاريخ الكنيسة، ترجمه من السريانية وعلق عليه، صالح عبدالعزيز محجوب إدريس، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة (٢٠٠٠م) ٠

١٠- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت٤٣٠هـ) ، دلائل النبوة، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس ـ بيروت، ط٢ ـ ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ٠

١١- دُوزي، رينهارت بيتر، تكملة المعاجم العربية، ترجمه وعلق عليه: جـ١ـ ٨: محمَّد سَلِيم النُعيمي؛ جـ ٩،١٠: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام ـ الجمهورية العراقية، ط١ ـ من ١٩٧٩- ٢٠٠٠ م ٠

١٢- بطليموس، بطليموس كلاوديوس(١٠٠ـ ما بعد ١٧٥م) ، بطليموس كلاوديوس والجزيرة العربية، ترجمة السيد جاد، إشراف وتحرير وتعليق د. عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، من إصدارات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

١٣- البعلي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل (ت ٧٠٩هـ) ، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط١ ـ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ٠

١٤- البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر - الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م ٠

١٥- البغوي، الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي ـ معالم التنزيل، تحقيق كل من: محمدعبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض، ب د ن، ١٤١٢هـ ٠

١٦- أبو البقاء، كمال الدين الشافعي، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري (المتوفى: ٨٠٨هـ) ، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ ـ ١٤٢٤هـ ٠

١٧- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى:

٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣هـ .

١٨- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر ــ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

١٩- البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله وعمر ابني أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٧هـ .

٢٠- البلادي الحربي، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح (ت ١٤٣١هـ)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١ ـ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢١- بلو تارخوس، بلوتارخوس والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، إشراف وتحرير د. عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، ترجمة، د. رضا عبدالجواد، تعليق د. زياد التلامين، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م .

٢٢- بلينيوس، بلينيوس والجزيرة العربية، اشراف وتحرير د. عبدالله عبدالرحمن العبد الجبار، ترجمة د. علي عبدالحميد، تعليق د. زياد السلامين، دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م .

٢٣- التركي، د. هند بنت محمد، مملكة قيدار، مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .

٢٤- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية ـ بيروت، ط١ ـ ١٤٢٤هـ .

٢٥- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير ـ جدة، ط١ ـ ١٤٣٦هـ /٢٠١٥م .

٢٦- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (ت ٢٥٥هـ)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل ـ بيروت، ط١ ـ ١٤١٠هـ .

٢٧- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي ـ بيروت، ط٤ ـ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٢٨- ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في أخبار الملوك

والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ٠

٢٩- جونز، أ.هـ.م.، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع ـ عمّان، ط١ ـ ١٩٨٧م ٠

٣٠- الجوهري الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤ ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ٠

٣١- الحاكم (المعروف بابن البيع)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق ونشر: دار التأصيل. مركز البحوث وتقنية المعلومات ـ القاهرة، ط١ ـ ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م ٠

٣٢- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي (ت ٣٥٤هـ)، الثقات، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١ ـ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ٠

٣٣- ابن حبيب البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ٠

٣٤- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، حقق ضمن ١٧ رسالة علمية بتنسيق د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث ـ السعودية، الطبعة الأولى ـ ١٤١٩هـ ٠

٣٥- الحرضي، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري (ت ٨٩٣هـ)، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، عني به أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج ـ جدة، ط١ـ٢٠٠٩م٠

٣٦- الحلبي، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد، نور الدين ابن برهان الدين، السيرة الحلبية ـ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢– ١٤٢٧هـ ٠

٣٧- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى:٦٢٦هـ)،

معجم البلدان، دار صادر ـ بيروت، ط٢ ـ ١٩٩٥م .

٣٨- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني ـ الرياض، ط٢ ـ ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م .

٣٩- الحيدر آبادي الهندي، محمد حميد الله (ت ١٤٢٤هـ)، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس – بيروت، ط٦ – ١٤٠٧هـ .

٤٠- ابن عبد المنعم الحميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ط٢ ــ ١٩٨٠م .

٤١- إبن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (المتوفى: نحو ٢٨٠هـ)، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت، ١٨٨٩م .

٤٢- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تلخيص المتشابه في الرسم، تحقيق سُكينة الشهابي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ دمشق، ط١ــ١٩٨٥م .

٤٣- الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي (ت٣٨٥هـ)، المؤتَلف والمختَلف، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلاميَ – بيروتَ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

٤٤- أبو داهش، عبدالله بن محمد، أهل السراة في القرون الوسيطة، مطابع الجنوب - أبها، ط٢-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

٤٥- الدمشقي النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .

٤٦- ديوكاسيوس، ديوكاسيوس والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، إشراف وتحرير د. عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، ترجمة، د. مجدي الكيلاني، تعليق د. جيهان شاه بهاي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م .

٤٧- الربعي، مفرح بن أحمد، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، تحقيق

رضوان السيد، وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي – بيروت، ط١، عام ١٤١٣هـ .

٤٨- رستم، د. أسد، كنيسة مدينة أنطاكية العظمى، منشورات المكتبة البولسية – بيروت، ١٩٨٨م .

٤٩- السبكي، محمود محمد خطاب، المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داوود، قام على تحقيقه وتصحيحه أمين محمود محمد خطاب، مطبعة الاستقامة ـ القاهرة، ط١ ـ ١٣٥١-١٣٥٣هـ .

٥٠- سترابون، الجغرافيا في سبعة عشر كتاباً، ترجمة د. حسان ميخائيل اسحق، (دار علاء لدين، ودار مؤسسة رسلان) – دمشق، ط١-٢٠١٧م .

٥١- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد ـ الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك، تحقيق ودراسة: د. عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق – الطائف، ٤١٦ هـ .

٥٢- ابن سعد الزهري، محمد بن سعد بن منيع، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

٥٣- ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، تحقيق احسان عباس، دار صادر ـ بيروت، ط١ ـ ١٩٦٨م .

٥٤- السفاريني الحنبلي، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم (ت ١١٨٨هـ)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة ـ مصر، ط٢ ـ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٥٥- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩)، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

٥٦- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (المتوفى: ٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١ ـ ١٤١٢هـ .

٥٧- السيد، جمال بن محمد، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية

وعلومها، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة، ط١ ـ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

٥٨- ابن سيد الناس اليعمري، الحافظ أبي الفتح محمد ابن محمد ابن محمد، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، حققه وخرج أحاديثه محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، مكتبة دار التراث ـ المدينة المنورة، ودار ابن كثير ـ دمشق.

٥٩- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١ هـ)، الزيادات على الموضوعات، ويسمى "ذيل الآلئ المصنوعة"، تحقيق رامز خالد حاج حسن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .

٦٠- شرّاب، محمد بن محمد حسن، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، ط١ –١٤١١هـ .

٦١- شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ .

٦٢- الصالحي الحنفي، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي(ت ٩٥٣هـ)، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، راجعه عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق محمود الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٢ ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٦٣- الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١ ـ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٦٤- الصقلي، ديودور، ديودوروس الصقلي وجزيرة العرب، إشراف وتحرير د. عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، ترجمة د. أحمد غانم، تعليق د. رحمة بنت عواد السناني، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م .

٦٥- ابن صراي، حمد محمد، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتب، الإمارات العربية المتحدة، رأس الخليمة، ١٩٩٧م.

٦٦- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني المُجَلّدان الثّالِثَ عَشَرَ والرابع عشر، تحقيق فريق من

الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد ابن عبد الرحمن الجريسي .

٦٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المعارف ـ القاهرة، ط٢ـ١٩٦٨م .

٦٨- ابن عبد البر، الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، حققه وعلق عليه: مصطفى بن احمد العلوي، ومحمد عبدالكبير البكري، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

٦٩- العتيبي، د. محمد بن سلطان، التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس ق م حتى القرن السادس الميلادي، وزارة التربية والتعليم ـ وكالة الآثار والمتاحف ـ المملكة العربية السعودية، ط١ـ ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .

٧٠- العسيري، منصور أحمد، "مع الهجري بين السراة والعالية"، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، أبها، ج١٦/ص٢٩١ .

٧١- العصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني (المتوفى: ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة ـ الرياض، ط٢ ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٧٢- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي(ت ٨٥٥هـ)، شرح سنن أبي داود، تحقيق أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد ـ الرياض، ط١ـ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧٣- الفارابي أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، معجم ديوان الأدب، تحقيق د. أحمد مختار عمر، راجعه د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ـ القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

٧٤- الفاسي المكي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (المتوفى:٨٣٢ هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١ـ ١٩٩٨م .

٧٥- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة ـ مصر، ط١ .

٧٦- الفراهيدي البصــري، أبو عبد الرحمن الخليــل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت ١٧٠هــ)، كتــاب العين، تحقيق د مهــدي المخزومي، د إبراهيم الســامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت (١٩٨٨م).

٧٧- ابــن الفقيــه الهمــداني، أبو عبــد الله أحمد بن محمــد بن إســحاق (ت ٣٦٥)، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١ ـ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ٠

٧٨- الفيروزابــادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشــيرازي، القاموس المحيط، دار الفكر ـ بيروت ٠

٧٩- القلقشــندي، أبي العباس احمد بن علي القلقشــندي (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م ٠

٨٠- ابــن قيم الجوزيــة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن ســعد شــمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م ٠

٨١- ابن كثير، أبو الفداء إســماعيل بن عمر بن كثير القرشــي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هــ)، البدايــة والنهاية، تحقيق علي شــيري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١ ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٨م ٠

٨٢- الكلبي، أبو المنذر هشــام بن محمد بن الســائب (ت ٢٠٤هـ)، نســب معد واليمن الكبير، تحقيق: الدكتور ناجي حســن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١ ـ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ٠

٨٣- ماركيللينيوســ، أمانيوســ، أمارنيوس ماركللينيوس والجزيرة العربية، إشــراف وتحرير د. عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار، ترجمة د. فايز يوســف، تعليق د. نورة بنت عبدالله النعيم، دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م ٠

٨٤- ابن ماكولا، الأمير الحافظ أبو نصر علي ابن الوزير هبة الله بن علي بن جعفر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة، ط٢ ـ ١٩٩٣م ٠

٨٥- المباركفــورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الناشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت ٠

٨٦- ابــن المجاور، يوســف بن يعقوب بن محمد الشــيباني، تاريخ المستبصــر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة، ١٩٩٦م ٠

٨٧- مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية ٠

٨٨- مقاتل الأزدي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث ــ بيروت، ط١- ١٤٢٣هـ ٠

٨٩- المقدسي البشاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الناشر: مكتبة بريل في ليدن، ودار صادر، بيروت، ومكتبة مدبولي القاهرة، ط٣ ـ ١٤١١/١٩٩١م ٠

٩٠- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين(ت ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط١ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ٠

٩١- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ)، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، تحقيق عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض، ط١- ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ٠

٩٢- ابن منظور الافريقي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر ـ بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ ٠

٩٣- المهرواني، الهمذاني، أبو القاسم يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (المتوفى : ٤٦٨هـ)، المهروانيات "الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب"، تخريج الشّيخ الإمام أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغداديّ، دراسة وتحقيق د. سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي، منشورات الجامعة الإسلامية ــ المدينة المنورة، ط١ ـ١٤٢٢هـ ٠

٩٤- ابن المواق، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خلف بن فرج بن صاف المراكشي المالكي (ت ٦٤٢ هـ)، بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب "البيان" وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد خرشافي، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ٠

٩٥- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١- ١٤٢٣هـ ٠

٩٦- النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة ــ بيروت ٠

٩٧- النيسابوري، أبو سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٤٠٧هـ)، شرف المصطفى، دار البشائر الإسلامية – مكة، ط١ - ١٤٢٤هـ ٠

٩٨- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت٤٦٨هـ)، التفسـير البسـيط، تحقيق لجنـة علمية بجامعـة الإمام محمد بن سـعود، من منشـورات عمادة البحث العلمي ـ جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية، ط١ ــ ١٤٣٠ هـ ٠

٩٩- الهجـري، أبـو علي هارون بـن زكريا، التعليقـات والنوادر، دراسـات ومختارات بترتيب حمد الجاسر، ط١- ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ٠

١٠٠- ابن هشـام، عبد الملك بن هشـام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، السـيرة النبوية، تحقيق مصـطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبـد الحفيظ شـلبي، شـركة مكتبة ومطبعة مصـطفى البابي الحلبـي وأولاده بمصر، ط٢ ـ ١٣٧٥هـ /١٩٥٥م ٠

١٠١- الهمداني، الحسـن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، مكتبة الارشاد ـ صنعاء، ط٢ـ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ٠

١٠٢- الهمداني، الحسـن بـن احمد بن يعقوب، كتاب الاكليل في أخبار اليمن وأنسـاب حمير، تحقيق وتعليق محمد ابن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشـاد ـ صـنعاء، (١٤٢٩ هـ/٢٠٠٧م) ٠

١٠٣- هيرودوتـس، هيرودوتـس والجزيـرة العربيـة، دارة الملك عبدالعزيز، إشـراف وتحريـر د. عبدالله بن عبدالرحمـن العبدالجبار، ترجمة د. إبراهيم السـايح، تعليـق د. رحمـة بنت عـواد السـناني، مـن إصـدارات دارة الملـك عبدالعزيز، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م ٠

١٠٤- الواقدي، محمد بن عمر السهمي (ت٢٠٧)، المغازي، تحقيق مارسدن جونز، دار الأعلمي ـ بيروت، ط٣ ـ ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٠٥- اليافعـي، أبـو محمد عفيف الديـن عبد الله بن أسـعد بن علي بن سـليمان (ت ٧٦٨هــ)، مـرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتـبر من حوادث الزمان، وضـع حواشـيه: خليـل المنصـور، دار الكتب العلمية ـ بـيروت، ط١ ــ ١٤١٧هـ /١٩٩٧م ٠

(*) المجلات الدورية

١٠٦- أبو الخير، خالد، "تعددت الأسماء والمدينة واحدة ـ إربد عبر التاريخ: إقحوانة نمت في ظل الحضارات"، صحيفة السجل، شركة مدى للصحافة والنشر، ٢ابريل ٢٠٠٩م، العدد ٧٠ .

(*) المخطوطات

١٠٧- المؤيدي، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط .

١٠٨- الحفظي، محمد بن أحمد، "نصيحة وموعظة للشيخ محمد بن أحمد الحفظي العسيري اليمني رحمه الله تعالى آمين"، مخطوط .

سادساً : رأي ووجهة نظر:

لاشك أن جُرَش السراة هي التي وردت في كتب السير، وأشارت إليها الكثير من كتب التراث الإسلامي. أما جَرَش الشام فهي فقط اسم على مسمى، وربما جاء التشابه في الأسماء بالصدفة، أو هجرة بعض الجرشيين السرويين إلى جرش الشام في العصر القديم، ثم أطلقوا اسم موطنهم الرئيسي على الموطن الجديد. وجرش السراة مازالت بحاجة كبيرة إلى دراسة آثارها المدفونة، وأيضاً البحث عنها في الكتب الكلاسيكية الأجنبية القديمة. ومن يقوم بهذا العمل فقد يتوصل إلى نتائج علمية قيمة لا نجدها في المصادر والمخطوطات التي وصلتنا واطلعنا عليها[١] .

(١) هذه السطور المحدودة إضافة من صاحب موسوعة : القول المكتوب في تاريخ الجنوب. وبلاد جُرَش وغيرها في بلاد تهامة والسراة مازالت بحاجة إلى جهود كبيرة وواسعة لدراسة تراثها وتاريخها وآثارها وحضارتها. (ابن جريس).